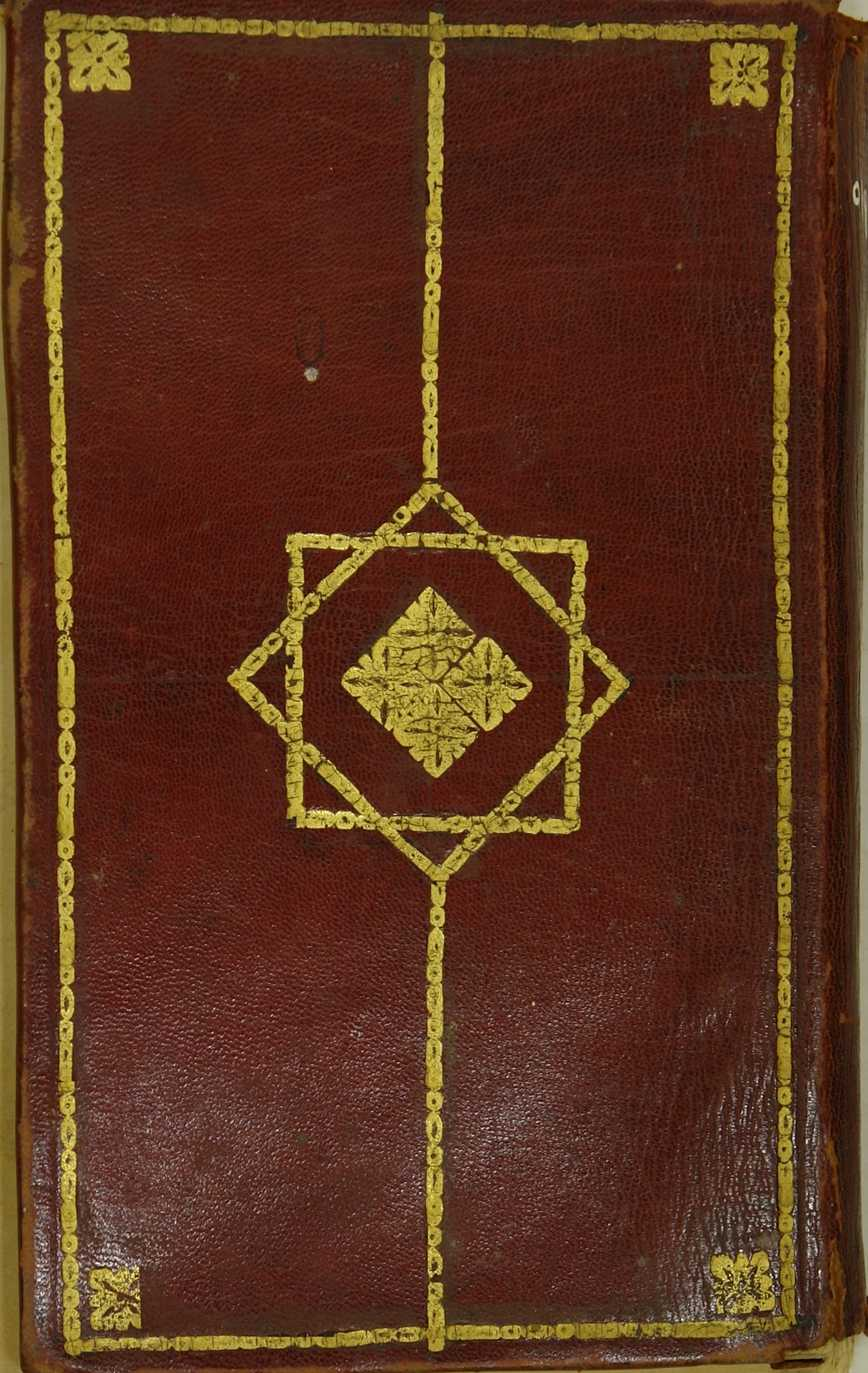

٥١٩٣



٢١٩

ـــــ الشفا بتعريف حقوق المصطفى ،تاليف القاضي

ش٠ق عياض ،عياض بن موسى ـ٥٤٤ هـ ٠ كتب

في القرن الثالث عشر الهجري تقديرا ٠

٥١٩٣ ج١(٢٩٦ق) ١٩س ١٧٫٥×١١ سم

نسخة جيدة ،خطها مغربي دقيق ،طبع

نسخة جيدة ، خطها مغربي دقيق ،طبع

الاعلام ٥:٢٨٢ الظاهرية (التاريخ٢):٣١٩

١ ـ السيرة النبوية ٠

أ ـ المؤلف ب ـ تاريخ النسخ ٠

قل صلى الله عليه وسلم
حكم اسم رجل ... صل عليه
... أفضيه

قل صلى الله عليه وسلم
... أو ... أكلا
أو ... حدا
... كهيا
... رجل ... ... في
...

... أكثر ...
... ...

الحمد لله وحده
... الكتاب لأحمد بن إبراهيم الخير الفراوي
أطال الباقي ... ٤٦
الرباط ...

ولقد علمت بأنهم يحسب ...
... على ... تفسك ...

بسم الله الرحمن الرحيم
وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم





الحمد لله المنفرد باسمه الأسمى،
المختص بالملك الأعز الأحمى، الذي ليس دونه منتهى
ولا وراءه مرمى، الظاهر لا تخيلا ووهما، والباطن تقدسا
لا عدما، وسع كل شيء رحمة وعلما، وأسبغ على أوليا
ئه نعما عما، وبعث فيهم رسولا من أنفسهم أنفسهم
عربا وعجما، وأزكاهم محتدا ومنمى، وأرجحهم عقلا وحلما
وأوفرهم علما وفهما، وأقواهم يقينا وعزما، وأشدهم
بهم رأفة ورحما، زكاه روحا وجسما، وحاشاه عيبا
ووصما، وآتاه حكمة وحكما، وفتح به أعينا
عميا، وقلوبا غلفا، وآذانا صما، فآمن به وعزره
ونصره من جعل الله له في مغنم السعادة قسما،
وكذب به وصدف عن آياته من كتب الله عليه
الشقاء حتما، ومن كان في هذه أعمى فهو في الآخرة
أعمى، صلى الله عليه وسلم صلاة تنمو وتنمى، وعلى
آله وسلم تسليما. أما بعد أشرق الله
قلبي وقلبك بأنوار اليقين ولطف لي ولك بما لطف به
لأوليائه المتقين، الذين شرفهم الله بنزل قدسه، وأو
حشهم من الخليقة بأنسه، وخصهم من معرفته ومشا
هدة عجائب ملكوته وآثار قدرته بما ملأ قلوبهم
حبرة، ووله عقولهم في عظمته حيرة، فجعلوا همهم
به واحدا، ولم يروا في الدارين غيره مشاهدا، فهم
بمشاهدة جماله وجلاله يتنعمون، وبين آثار قدرته
وعجائب عظمته يترددون، وبالانقطاع إليه والتوكل
عليه يتعززون، لهجين بصادق قوله قل الله ثم ذرهم
في خوضهم يلعبون. فإنك كررت علي السؤال
في مجموع يتضمن التعريف بقدر المصطفى عليه الصلاة
والسلام، وما يجب له من توقير وإكرام، وما حكم من لم

يوفي واجب تعظيم ذلك القرآن وفهمه وتنبيه الجليل
فلا منه كفى وأن أجمع لك ما لا يسلا منا وأعتاب ذلك
من مقال • وأبينه بتنزيل صور وأمثال ما على أكرم الله
أفعال جملته من ذلك الامر إمراه • وأن تفقه فيما ترتبت البنه
عنه • وأن يبني بما كلفته من تقوى عناه • ولا قلبي رغباه •
بيان الكلام بذلك ما يشترط فيه من أصول • ونحن بفصول
• والكشف عن غوامض فاتيه • من علم الحقايق • مما يجب
للنبي صلى الله عليه وسلم ويضاف اليه أو يجوز عليه ومعرفة
النبي والرسول والرسالة والنبوءة والمحبة والخلة
وخصايص هذه الدرجة العلية • وبها تقطع مهامه مهامه
تحار فيها القطاة • وتقصر بها الخطاة • ومجاهل تضل
فيها الاحلام • ان لم تهتد بعلم علم ونظر سديد
ومزالق تزل بها الاقدام • ان لم تعتمد على توفيق من
الله وتأييد • لا كتب بما رجوته لي ولك بهذا السؤال
والجواب • من نوال وثواب • بتعريف قدره الجسيم
وخلقه العظيم وبيان خصايصه التي لم تجتمع قبل
في مخلوق • وما يدان الله تعالى به من حقه الذي هو ارفع
الحقوق • ليستيقن الذين أوتوا الكتاب ويزداد الذين
آمنوا إيمانا • ولما أخذ الله على الذين أوتوا الكتاب

أو يمتنع صح

لتبيننه

لتبيننه للناس ولا تكتمونه • وبما حدثنا به أبو الوليد
هشام بن أحمد الفقيه رحمه الله بقراءتي عليه قال
حدثنا الحسين بن محمد حدثنا أبو عمر
النمري قال حدثنا أبو محمد بن عبد المومن حدثنا أبو بكر محمد
ابن بكر حدثنا سليمان بن الاشعث قال حدثنا موسى
ابن إسماعيل حدثنا حماد قال أخبرنا علي بن
الحكم عن عطاء عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم من سيل عن علم فكتمه ألجمه الله
بلجام من نار يوم القيامة فبادرت الى نكت سافرة
عن وجه الغرض • مؤديا من ذلك الحق المفترض اختطفتها
اختلستها على استعجال • لما المرء بصدده من شغل
البدن والبال • بما طوقه الانسان من مقاساة المحنة
التي ابتلي بها ومكابدات تشغل عن كل فرض ونفل • وترد
بعد حسن التقويم الى أسفل سفل • ولو أراد الله به
الانسان خيرا لجعل شغله وهمه كله فيما يحمد غدا
أو يوم محله • وليس ثم سوى حضرتي النعيم • أو عذاب
الجحيم • ولكان عليه بشأنه • وعمل صالح يبقى بذكره
• وعلم نافع ينمر أو يستثمر له جبر الله
صدع قلوبنا • وغفر عظيم ذنوبنا • وجعل جميع

ح
مسيرة

ح
يتهمم
يتجر بهمه
واشتغاله بهجته

استغراقنا لمعادنا • وتوفر دواعينا فيما ينجينا
• ودفع بنا البعد زلفى • ويحفظنا بحبه ورحمته • وتجعلنا
نورث نعم نبيه وزحمه نبوته • ومعرفتنا ما صلته
• وخلصت تفضيله • وانتحيت حقه وتحصيله
• ثم جمعته بالشفا بتعريف حقوق المصطفى
• وحصرت الكلام فيه في أقسام أربعة •

• القسم الأول •

في تعظيم العلي الأعلى لقدر هذا النبي المصطفى قولا
وفعلا • وتوجه الكلام فيه في أربعة أبواب

• الباب الأول •

في ثنائه عليه • وإظهار عظيم قدره لديه • وفيه
عشرة فصول

• الباب الثاني •

في تكميله تعالى له المحاسن خلقا وخلقا • وقرانه
جميع الفضائل الدينية والدنيوية فيه نسقا
وفيه سبعة وعشرون فصلا

• الباب الثالث •

فيما ورد من صحيح الأخبار ومشهورها بعظيم قدره
عند ربه ومنزلته • وما خصه به في الدارين من كرامته

وفيه اثنا عشر فصلا •

• الباب الرابع •

فيما أظهره الله تعالى على يديه من الآيات والمعجزات • وشرفه
به من الخصائص والكرامات • وفيه ثلاثون فصلا

• القسم الثاني •

فيما يجب على الأنام من حقوقه عليه الصلاة والسلام
وترتب القول فيه في أربعة أبواب •

• الباب الأول •

في فرض الإيمان به • ووجوب طاعته واتباع سنته
• وفيه خمسة فصول •

• الباب الثاني •

في لزوم محبته ومناصحته وفيه ستة فصول

• الباب الثالث •

في تعظيم أمره • وتوقيره وبره وفيه سبعة فصول

• الباب الرابع •

في حكم الصلاة عليه والتسليم وفرض ذلك
وفضيلته وفيه عشرة فصول •

• القسم الثالث •

فيما يستحيل في حقه وما يجوز عليه وما يمتنع ويصح

من الامور البشرية ان يضاف اليه وهذا القسم
اكرمك الله هو سر الكتاب ولباب ثمرة هذه
الابواب وما قبله له كالقواعد والتمهيدات
والدلايل على ما نورده فيه من النكت البينات وهو
الحاكم على ما بعده والمنجز من غرض هذا التاليف
وعده وعند التقصي لموعده والتفصي عن عهدته
يشرق صدر العدو اللعين ويشرق قلب المومن
باليقين وتملا انواره جوانح صدره ويقدر العاقل
النبي حق قدره ويتحرر الكلام فيه في بابين

الباب الاول

فيما يختص بالامور الدينية ويتشبث القول
فيه بالعصمة وفيه ستة عشر فصلا

الباب الثاني

في احواله الدنيوية وما يجوز طروه عليه من الاعراض
البشرية وفيه تسعة فصول

القسم الرابع

في تصرف وجوه الاحكام على من تنقصه او سبه
عليه السلام وينقسم الكلام فيه في بابين

الباب الاول

صح صلى الله عليه وسلم

خ في القول في العصمة

خ تصريف

في بيان

في بيان ما هو في حقه سب ونقص من تعريض او
نص وفيه عشرة فصول

الباب الاول

في حكم شانيه ومونيه ومنتقصه وعقوبته وذكر
استتابته والصلاة عليه ووراثته وفيه
عشرة فصول وختمناه بباب ثالث جعلناه
تكملة لهذه المسالة ووصلة للبابين اللذين قبله
في حكم من سب الله ورسله وملائكته وكتبه
وال النبي صلى الله عليه وسلم وصحبه واختصرنا
الكلام فيه في خمسة فصول وبتمامها ينتجز الكتاب
وتتم الاقسام والابواب وتلوح في غرة
الايمان لمعة منيرة وفي تاج التراجم درة خطيرة
تزيح كل لبس وتوضح كل تخمين وحدس وتشفي صدور
قوم مومنين وتصدع بالحق وتعرض عن الجاهلين
وبالله تعالى لا اله سواه استعين

القسم الاول

في تعظيم العلي الاعلى لقدر هذا النبي المصطفى
قولا وفعلا قال الفقيه القاضي الامام ابو
الفضل رضي الله تعالى عنه لا خفاء على من مارس

ح تعلى

خ تخمين وحدس

شيئا من العلم أو خص بأدنى لمحة من الفهم بتعظيم
الله تعالى قدر نبينا عليه الصلاة والسلام وخصوصه
إياه بفضائل ومحاسن ومناقب لا تنضبط
بزمام وتنويهه من عظيم قدره بما تكل عنه الأ
لسنة والأقلام فمنها ما صرح به تعالى في كتابه
ونبه به على جليل نصابه وأثنى به عليه من
أخلاقه وآدابه وحض العباد على التزامه
وتقلد إيجابه فكان جل جلاله هو الذي تفضل وأولى
ثم طهر وزكى ثم مدح بذلك وأثنى ثم أثاب
عليه الجزاء الأوفى فله الفضل بدءا وعودا
والحمد أولى وأخرى ومنها ما أبرزه للعيان من
خلقه على أتم وجوه الكمال والجلال وتخصيصه
بالمحاسن الجميلة والأخلاق الحميدة والمذاهب
الكريمة والفضائل العديدة وتأييده بالمعجزات
الباهرة والبراهين الواضحة والكرامات البينة
التي شاهدها من عاصره ورآها من أدركه
وعلمها علم يقين من جاء بعده حتى انتهى علم حقيقة
ذلك إلينا وفاضت أنوارها علينا صلى الله وسلم
عليه كثيرا حدثنا القاضي الشهيد أبو

علي

علي الحسين بن محمد الحافظ رحمه الله تعالى قراءة مني
عليه قال حدثنا أبو الحسين المبارك بن عبد الجبار
وأبو الفضل أحمد بن خيرون قالا حدثنا أبو يعلى
البغدادي قال حدثنا أبو علي السنجي محمد بن أحمد
قال حدثنا محمد صح
ابن محبوب حدثنا أبو عيسى بن سورة الحافظ قال
حدثنا إسحاق بن منصور حدثنا عبد الرزاق أخبرنا
معمر عن قتادة عن أنس رضي الله عنه أن النبي صلى
الله عليه وسلم أتي بالبراق ليلة أسري به ملجما
مسرجا فاستصعب عليه فقال له جبريل أبمحمد
تفعل هذا فما ركبك أحد أكرم على الله منه قال
فارفض عرقا

الباب الأول

في ثناء الله عليه وإظهاره عظيم قدره لديه
تعالى صح
اعلم أن في كتاب الله عز وجل آيات كثيرة
العزيز صح
مفصحة بجميل ذكر المصطفى وعد محاسنه وتعظيم
أمره وتنويه قدره اعتمدنا منها على ما ظهر معناه
وبان فحواه وجمعنا ذلك في عشرة فصول

الفصل الأول

فيما جاء من ذلك مجيء المدح والثناء وتعداد

المحاسن كقوله تعالى لقد جاءكم رسول من انفسكم الاية
قال السمرقندي وقرا بعضهم من انفسكم بفتح الفاء
وقراءة الجمهور بالضم قال القاضي الامام ابو الفضل
وفقه الله تعالى اعلم الله تعالى المومنين او العرب او اهل
مكة او جميع الناس على اختلاف المفسرين في
من المواجه بهذا الخطاب انه بعث فيهم رسولا
من انفسهم يعرفونه ويتحققون مكانته ويعلمون صدقه
وامانته ولا يتهمونه بالكذب وانه لم تكن في العرب
قبيلة الا ولها على رسول الله صلى الله عليه وسلم
ولادة او قرابة وهو عند ابن عباس وغيره معنى قوله
تعالى الا المودة في القربى وكونه من اشرفهم وارفعهم
وافضلهم على قراءة الفتح وهذه نهاية المدح ثم وصفه
بعد باوصاف حميدة واثنى عليه بمحامد كثيرة من حرصه
على هدايتهم ورشدهم واسلامهم وشدة ما يعنتهم
ويضر بهم في دنياهم واخراهم وعزته عليهم ورافته
ورحمته بمومنيهم قال بعضهم اعطاه اسمين من
اسمائه رءوف رحيم ومثله في الاية الاخرى قوله لقد
من الله على المومنين اذ بعث فيهم رسولا من انفسهم الاية
وفي الاية الاخرى هو الذي بعث في الاميين رسولا

منهم

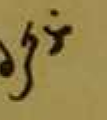
منهم الاية وقوله كما ارسلنا فيكم رسولا منكم
الاية روي عن علي بن ابي طالب رضي الله عنه
عنه عليه الصلاة والسلام في قوله تعالى من انفسكم
قال نسبا وصهرا وحسبا ليس في آبائي من لدن آدم
سفاح كلها نكاح قال ابن الكلبي كتبت للنبي صلى
الله عليه وسلم خمسمائة ام فما وجدت فيهن
سفاحا ولا شيئا مما كان من امر الجاهلية وعن
ابن عباس في قوله تعالى وتقلبك في الساجدين قال
من نبي الى نبي حتى اخرجتك نبيا وقال جعفر بن
محمد علم الله عجز خلقه عن طاعته فعرفهم ذلك
لكي يعلموا انهم لا ينالون الصفو من خدمته فاقام
بينهم وبينه مخلوقا من جنسهم في الصورة البسه
من نعته الرافة والرحمة واخرجه الى الخلق سفيرا
صادقا وجعل طاعته طاعته وموافقته موافقته
فقال تعالى من يطع الرسول فقد اطاع الله وقال
الله تعالى وما ارسلناك الا رحمة للعالمين قال
ابو بكر بن طاهر زين الله تعالى محمدا بزينة الرحمة
فكان كونه رحمة وجميع شمائله وصفاته رحمة
على الخلق فمن اصابه شيء من رحمته فهو الناجي

في الدارين من كل مكروه والواصل بهما الى كل محبوب
الا ترى ان الله سبحانه وتعالى يقول وما ارسلناك
الا رحمة للعالمين وكانت حياته رحمة ومماته رحمة
كما قال عليه السلام حياتي خير لكم ووفاتي خير لكم
وكما قال عليه السلام اذا اراد الله بامة خيرا
قبض نبيها قبلها فجعله لها فرطا وسلفا وقال
السمرقندي رحمة للعالمين يعني للجن والانس وقيل لجميع
الخلق للمومنين رحمة بالهداية ورحمة للمنافقين بالامان
من القتل ورحمة للكافرين بتاخير العذاب قال ابن عباس
رضي الله عنهما هو رحمة للمومنين وللكافرين اذ عوفوا
مما اصاب غيرهم من الامم المكذبة وحكي ان النبي
صلى الله عليه وسلم قال لجبريل عليه السلام هل
اصابك من هذه الرحمة شيء قال نعم كنت اخشى
العاقبة فامنت لثناء الله تعالى علي بقوله عز وجل
ذي قوة عند ذي العرش مكين مطاع ثم امين وروي عن جعفر
ابن محمد الصادق في قوله تعالى فسلام لك من اصحاب اليمين
اي بك انما وقعت سلامتهم من اجل كرامة محمد صلى الله
عليه وسلم وقال الله تبارك وتعالى الله نور السماوا
ت والارض الاية قال كعب وابن جبير المراد بالنور

الثاني

الثاني محمدا صلى الله عليه وسلم وقوله
مثل نوره اي نور محمد صلى الله عليه وسلم وقال
سهل ابن عبد الله المعنى الله هادي اهل السماوات
والارض ثم قال مثل نور محمد صلى الله عليه وسلم
اذ كان مستودعا في الاصلاب كمشكاة صفتها
كذا واراد بالمصباح قلبه وبالزجاجة صدره اي
كانه كوكب دري لما فيه من الايمان والحكمة توقد
من شجرة مباركة اي من نور ابراهيم عليه السلام وضرب
المثل بالشجرة المباركة وقوله تعالى يكاد زيتها
يضيء اي تكاد نبوة محمد صلى الله عليه وسلم تبين
للناس قبل كلامه كهذا الزيت وقد قيل في هذه الا
ية غير هذا والله اعلم وقد سماه الله تعالى في القران
في غير هذا الموضع نورا وسراجا منيرا وقال قد
جاءكم من الله نور وكتاب مبين وقال تعالى انا ار
سلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا وداعيا الى الله
باذنه وسراجا منيرا ومن هذا قوله الم نشرح لك
صدرك الى اخر السورة شرح وسع والمراد بالصدر
هنا القلب قال ابن عباس شرحه بالاسلام وقال
سهل بنور الرسالة وقال الحسن ملاه حكما وعلما

وقيل وعصمناك أي نحفظ قلبك حتى لا تؤثر فيه الو
ساوس ووضعنا عنك وزرك أي ثقل ظهرك بما قبل ما
سلف من ذنبك يعني قبل النبوة وقيل أراد ثقل
أيام الجاهلية وقيل أراد ما أثقل ظهره من الرسالة
حتى بلغها حكاه الماوردي والسلمي وقيل عصمناك
ولولا ذلك لأثقلت الذنوب ظهرك حكاه السمرقندي
ورفعنا لك ذكرك قال يحيى بن آدم بالنبوة وقيل
إذا ذكرت ذكرت معي في قول لا إله إلا الله
محمد رسول الله وقيل في الأذان **قال** الفقيه
القاضي أبو الفضل رحمه الله هذا تقرير من الله جل
اسمه لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم على عظيم
نعمه لديه وشريف منزلته عنده وكرامته عليه
بأن شرح قلبه للإيمان والهداية ووسعه لوعي
العلم وحمل الحكمة ورفع عنه ثقل أمور الجاهلية
عليه وبغضه لسيرها وما كانت عليه بظهور
دينه على الدين كله وحط عنه عهدة أعباء الر
سالة والنبوة لتبليغه للناس ما نزل إليهم
وتنويهه بعظيم مكانه وجليل رتبته ورفعة
ذكره وقرانه مع اسمه اسمه قال قتادة رفع الله





ذكره في الدنيا والآخرة فليس خطيب ولا متشهد
ولا صاحب صلاة إلا يقول أشهد أن لا إله إلا الله
وأن محمدا رسول الله **وروى** أبو سعيد الخدري
أن النبي صلى الله عليه وسلم قال أتاني جبريل فقال
إن ربي وربك يقول أتدري كيف رفعت لك ذكرك قلت
الله ورسوله أعلم قال إذا ذكرت ذكرت معي
قال ابن عطاء جعلت تمام الإيمان بذكرك معي وقال
أيضا جعلتك ذكرا من ذكري فمن ذكرك ذكرني قال جعفر
ابن محمد الصادق لا يذكرك أحد بالرسالة إلا ذكرني
بالربوبية وأشار بعضهم في ذلك إلى الشفاعة
ومن ذكره معه تعالى أن قرن طاعته بطاعته واسمه
باسمه فقال تعالى وأطيعوا الله وأطيعوا الرسول
وآمنوا بالله ورسوله فجمع بينهما بواو العطف
المشركة ولا يجوز جمع هذا الكلام في غيره عليه
السلام **حدثنا** الشيخ الإمام أبو علي
الحسين بن محمد الجياني الحافظ فيما أجازنيه ومن أصله
على الثقة عنه قال **ثنا** أبو عمر النمري قال **ثنا**
محمد بن عبد المؤمن **ثنا** أبو بكر بن داسة **ثنا**
أبو داود السجزي **ثنا** أبو الوليد الطيالسي

ثنا شعبة عن منصور عن عبد الله بن يسار عن حذيفة
عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لا يقولن أحدكم
ما شاء الله وشاء فلان ولكن ما شاء الله ثم شاء
فلان قال الخطابي أرشدهم صلى الله عليه وسلم
إلى الأدب في تقديم مشيئة الله تعالى على مشيئة
من سواه واختارها بثم التي هي للنسق والتراخي
بخلاف الواو التي هي للاشتراك ومثله الحديث
الآخر أن خطيبا خطب عند النبي صلى الله عليه وسلم
فقال من يطع الله ورسوله فقد رشد ومن يعصهما
فقد غوى فقال له النبي صلى الله عليه وسلم بئس
خطيب القوم أنت قم أو قال اذهب قال أبو سليمان
كره منه الجمع بين الاسمين بحرف الكناية لما فيه
من التسوية وذهب غيره إلى أنه إنما كره له الوقوف
على يعصهما وقول أبي سليمان أصح لما روي في
الحديث الصحيح أنه قال ومن يعصهما فقد غوى
ولم يذكر الوقوف على يعصهما وقد اختلف المفسرون
وأصحاب المعاني في قوله تعالى إن الله وملائكته
يصلون على النبي هل يصلون راجعة إلى الله تعالى
والملائكة أم لا فأجازه بعضهم ومنعه آخرون

لعلة

لعلة التشريك وخصوا الضمير بالملائكة وقدروا
الآية إن الله يصلي وملائكته يصلون وقد روي
عن عمر رضي الله عنه أنه قال من فضيلتك عند الله
أن جعل طاعتك طاعته فقال من يطع الرسول
فقد أطاع الله وقال الله تعالى قل إن كنتم تحبون
الله فاتبعوني يحببكم الله الآية وروي أنه لما نزلت
هذه الآية قالوا إن محمدا يريد أن نتخذه حنانا كما
اتخذت النصارى عيسى فأنزل الله تعالى قل أطيعوا
الله والرسول فقرن طاعته بطاعته رغما لهم
وقد اختلف المفسرون في معنى قوله تعالى في أم الكتاب
اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم
فقال أبو العالية والحسن البصري الصراط المستقيم
هو رسول الله صلى الله عليه وسلم وخيار أهل بيته
وأصحابه حكاه عنهما أبو القاسم الماوردي وحكى
مكي عنهما نحوه وقال هو رسول الله صلى الله عليه
وسلم وصاحباه أبو بكر وعمر رضي الله عنهما وحكى
أبو الليث السمرقندي مثله عن أبي العالية في قوله صراط
الذين أنعمت عليهم قال فبلغ ذلك الحسن فقال
صدق الله ونصح وحكى الماوردي ذلك في تفسير صراط

الذين أنعمت عليهم عن عبد الرحمن بن زيد وحكى
عبد الرحمن السلمي عن بعضهم في تفسير قوله تعالى فقد
استمسك بالعروة الوثقى الآية أنه محمد عليه السلا
م وقيل الإسلام وقيل شهادة التوحيد وقال
سهل في قوله تعالى وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها
قال نعمته بمحمد صلى الله عليه وسلم وقال تعالى والذي
جاء بالصدق وصدق به أولئك هم المتقون الآية أكثر
المفسرين على أن الذي جاء بالصدق هو محمد صلى الله
عليه وسلم قال بعضهم وهو الذي صدق به وقرئ وصدق
بالتخفيف وقال غيرهم الذي صدق به المؤمنون وقيل أبو
بكر وقيل علي وقيل غير هذا من الأقوال وعن مجاهد
في قوله تعالى ألا بذكر الله تطمئن القلوب قال بمحمد عليه
السلام وأصحابه رضوان الله عليهم •

• الفصل الثاني

في وصفه تعالى له بالشهادة وما تعلق بها من الثناء
والكرامة قال تعالى يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهدا
ومبشرا ونذيرا الآية جمع الله تعالى له في هذه الآية
ضروبا من رتب الأثرة وجملة أوصاف من المدحة فجعله
شاهدا على أمته لنفسه بإبلاغهم الرسالة وهو من

خصائصه

خصائصه عليه السلام ومبشرا لأهل طاعته
ونذيرا لأهل معصيته وداعيا إلى توحيده وعبادته
وسراجا منيرا يهتدى به للحق حدثنا الشيخ
أبو محمد بن عتاب ثنا أبو القاسم حاتم بن محمد
ثنا أبو الحسن القابسي ثنا أبو زيد المروزي قال
أبو عبد الله محمد بن يوسف ثنا البخاري ثنا محمد
بن سنان ثنا فليح ثنا هلال عن عطاء بن يسار
قال لقيت عبد الله بن عمرو بن العاصي فقلت أخبرني
عن صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أجل
والله إنه لموصوف في التوراة ببعض صفته في القرآ
ن يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا
وحرزا للأميين أنت عبدي ورسولي سميتك المتوكل
ليس بفظ ولا غليظ ولا صخاب في الأسواق ولا يدفع
بالسيئة السيئة ولكن يعفو ويغفر ولن يقبضه
الله حتى يقيم به الملة العوجاء بأن يقولوا لا إله
إلا الله ويفتح به أعينا عميا وآذانا صما وقلوبا
غلفا وذكر مثله عن عبد الله بن سلام وكعب الأحبار
وفي بعض طرقه عن ابن إسحاق ولا صخب في الأسواق
ولا متزين بالفحش ولا قوال للخنا أسدده لكل جميل

وأهب له كل خلق كريم وأجعل السكينة لباسه
والبر شعاره والتقوى ضميره والحكمة معقوله
والصدق والوفاء طبيعته والعفو والمعروف خلقه
والعدل سيرته والحق شريعته والهدى امامه
والاسلام ملته واحمد اسمه اهدي به بعد الضلالة
واعلم به بعد الجهالة وارفع به بعد الخمالة واسمي
به بعد النكرة واكثر به بعد القلة واغني به بعد
العيلة واجمع به بعد الفرقة واؤلف به بين قلوب
مختلفة واهواء متشتتة وامم متفرقة واجعل امته
خير امة اخرجت للناس وفي حديث اخر اخبرنا
رسول الله صلى الله عليه وسلم عن صفته في التوراة
عبدي احمد المختار مولده بمكة ومهاجره بالمدينة او قال
طيبة امته الحمادون لله على كل حال وقال الله
تعالى الذين يتبعون الرسول النبي الامي الاية
وقد قال الله تعالى فبما رحمة من الله لنت لهم الاية
قال السمرقندي ذكرهم الله تعالى منته انه جعل
رسوله رحيما بالمومنين رؤوفا لين الجانب ولو كان
فظا خشنا في القول لتفرقوا من حوله لكن جعله
الله سمحا سهلا طلقا برا لطيفا هكذا قاله الضحاك

وقال

وقال الله تعالى وكذلك جعلناكم امة وسطا
لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم
شهيدا قال ابو الحسن القابسي ابان الله تعالى
فضل نبينا صلى الله عليه وسلم وفضل امته بهذه
الاية وفي قوله تعالى في الاية الاخرى وفي هذا ليكون
الرسول شهيدا عليكم وتكونوا شهداء وكذلك قوله
تعالى فكيف اذا جئنا من كل امة بشهيد الاية وقوله
وسطا اي عدلا خيارا ومعنى هذه الاية وكما هد
يناكم فكذلك خصصناكم وفضلناكم بان جعلناكم
امة خيارا عدولا لتشهدوا للانبياء على اممهم
ويشهد لكم الرسول بالصدق قيل ان الله جل جلاله
اذا سال الانبياء هل بلغتم فيقولون نعم فتقول
اممهم ما جاءنا من بشير ولا نذير فتشهد امة محمد
صلى الله عليه وسلم للانبياء ويزكيهم النبي عليه
السلام وقيل معنى الاية انكم حجة على كل من خالفكم
والرسول حجة عليكم حكاه السمرقندي وقال تعالى
وبشر الذين امنوا ان لهم قدم صدق عند ربهم
قال قتادة والحسن وزيد بن اسلم قدم صدق هو محمد
صلى الله عليه وسلم يشفع لهم وعن الحسن ايضا هي

فحيّاهم بنبيّهم وعن ابي سعيد الخدري هي شفاعة نبيهم محمد صلى الله عليه وسلم هو شفيع صدق عند ربهم وقال سهل بن عبد الله التستري هي سابقة رحمة اودعها الله عز وجل في محمد صلى الله عليه وسلم وقال محمد بن علي الترمذي هو امام الصادقين والصديقين الشفيع المطاع والسائل المجاب محمد صلى الله عليه وسلم حكاه عنه السلمي

فصل

فيما ورد في خطابه اياه مورد الملاطفة والمبرة من ذلك قوله تعالى عفا الله عنك لم اذنت لهم قال ابو محمد مكي قيل هذا افتتاح كلام بمنزلة اصلحك الله واعزك الله وقال عون بن عبد الله اخبره بالعفو قبل ان يخبره بالذنب وحكى السمرقندي عن بعضهم ان معناه عافاك الله يا سليم القلب لم اذنت لهم قال ولو بدأ النبي صلى الله عليه وسلم بقوله لم اذنت لهم لخيف عليه ان ينشق قلبه من هيبة هذا الكلام لكن الله تعالى برحمته اخبره بالعفو حتى سكن قلبه ثم قال له لم اذنت لهم بالتخلف حتى يتبين الصادق في عذره من الكاذب وفي هذا من عظيم منزلته

عند الله

عند الله ما لا يخفى على ذي لب ومن اكرامه تعالى اياه وبره به ما ينقطع دون معرفة غايته نياط القلب قال نفطويه ذهب ناس الى ان النبي صلى الله عليه وسلم معاتب بهذه الآية وحاشاه من ذلك بل كان مخيرا فلما اذن لهم اعلمه الله تعالى انه لو لم يأذن لهم لقعدوا لنفاقهم قال الفقيه القاضي يجب على المسلم المجاهد نفسه الرائض بزمام الشريعة خلقه ان يتأدب بآداب القرآن في قوله وفعله ومعاطاته ومحاوراته فهو عنصر المعارف الحقيقية وروضة الآداب الدينية والدنيوية وليتأمل هذه الملاطفة العجيبة في السؤال من رب الارباب المنعم على الكل المستغني عن الجميع ويستثير ما فيها من الفوائد وكيف ابتدأ بالاكرام قبل العتب وآنس بالعفو قبل ذكر الذنب ان كان ثم ذنب وقال تعالى ولولا ان ثبتناك لقد كدت تركن اليهم شيئا قليلا قال بعض المتكلمين عاتب الله الانبياء عليهم الصلاة والسلام بعد الزلات وعاتب نبينا محمدا صلى الله عليه وسلم قبل

وفي وقوعه ليكون بذلك أشد انتهاء ومحافظة لشرا
ئط المحبة وهذه غاية العناية ثم انظر كيف
بدأ بثباته وسلامته قبل ذكر ما عتبه عليه
وخيف أن يركن إليه ففي أثناء عتبه براءته وفي
طي تخويفه تأمينه وكرامته ومثله قوله تعالى قد
نعلم إنه ليحزنك الذي يقولون فإنهم لا يكذبونك
الآية قال علي رضي الله عنه قال أبو جهل
للنبي صلى الله عليه وسلم إنا لا نكذبك ولكن
نكذب بما جئت به فأنزل الله تعالى فإنهم لا يكذ
بونك الآية ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون وروي
أن النبي صلى الله عليه وسلم لما كذبه قومه حزن
فجاءه جبريل فقال ما يحزنك قال كذبني قومي فقال
إنهم يعلمون أنك صادق فأنزل الله الآية ففي
هذه الآية منزع لطيف المأخذ من تسليته تعالى له
عليه السلام وإلطافه به في القول بأن قرر عنده
أنه صادق عندهم وأنهم غير مكذبين له معترفون
بصدقه قولا واعتقادا وقد كانوا يسمونه قبل
النبوة الأمين فدفع بهذا التقرير ارتماض نفسه
بسمة الكذب ثم جعل الذم لهم بتسميتهم جا

جاحدين ظالمين فقال تعالى ولكن الظالمين بآيات
الله يجحدون فحاشاه من الوصم وطوقهم بالمعا
ندة بتكذيب الآيات حقيقة الظلم إذ الجحد إنما
يكون ممن علم الشيء ثم أنكره كقوله تعالى
وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلما وعلوا
ثم عزاه وآنسه بما ذكره عمن قبله ووعده النصر
بقوله ولقد كذبت رسل من قبلك الآية فمن قرأ لا يكذ
بونك بالتخفيف فمعناه لا يجدونك كاذبا وقال
الفراء والكسائي لا يقولون إنك كاذب وقيل لا يحتجون
على كذبك ولا يثبتونه ومن قرأ بالتشديد فمعناه لا
ينسبونك إلى الكذب وقيل لا يعتقدون كذبك ومما
ذكر من خصائصه صلى الله عليه وسلم وبر الله
تعالى به أن الله خاطب جميع الأنبياء فقال يا آ
دم يا نوح يا إبراهيم يا داود يا زكريا يا يحيى
يا عيسى ولم يخاطب هو إلا يا أيها الرسول يا أيها
النبي يا أيها المزمل يا أيها المدثر •

• الفصل الرابع •

في قسمه تعالى بعظيم قدره عليه الصلاة والسلام
قال الله تعالى لعمرك إنهم لفي سكرتهم يعمهون

اتفق أهل التفسير في هذا أنه قسم من الله جل
جلاله بمدة حياة محمد صلى الله عليه وسلم
وأصله ضم العين من العمر ولكنها فتحت لكثرة
الاستعمال ومعناه وبقائك يا محمد وقيل وعيشك
وقيل وحياتك وهذه نهاية التعظيم وغاية
البر والتشريف قال ابن عباس رضي الله
عنه ما خلق الله وما ذرأ وما برأ نفسا أكرم على
الله من محمد صلى الله عليه وسلم وما سمعت الله
أقسم بحياة أحد غيره قال أبو الجوزاء
ما أقسم الله تعالى بحياة أحد غير محمد صلى الله
عليه وسلم لأنه أكرم البرية عنده وقال تعالى
يس والقرآن الحكيم الآيات اختلف المفسرون
في معنى يس على أقوال فحكى أبو محمد مكي أنه روي
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لي عند ربي
عشرة أسماء ذكر أن منها طه ويس اسمان له
وحكى أبو عبد الرحمن السلمي عن جعفر الصادق أنه
أراد يا سيد مخاطبة للنبي صلى الله عليه وسلم
وعن ابن عباس رضي الله عنه يس يا إنسان أراد
محمدا عليه الصلاة والسلام وقال هو قسم وهو

من أسماء الله تعالى وقال الزجاج قيل معناه يا
محمد وقيل يا رجل وقيل يا إنسان وعن ابن
الحنفية يس يا محمد وعن كعب يس قسم أقسم الله
به قبل أن يخلق السماء والأرض بألفي عام يا محمد
إنك لمن المرسلين ثم قال والقرآن الحكيم إنك لمن المر
سلين فإن قدر أنه من أسمائه عليه الصلاة والسلام
وصح أنه قسم كان فيه من التعظيم ما تقدم ويؤ
كد فيه القسم عطف القسم الآخر عليه وإن كان
بمعنى النداء فقد جاء قسم آخر بعده لتحقيق
رسالته والشهادة بهدايته أقسم الله تعالى
باسمه وكتابه أنه من المرسلين بوحيه إلى عباده
وعلى صراط مستقيم من إيمانه أي طريق لا اعوجاج
فيه ولا عدول عن الحق قال النقاش لم يقسم
الله تعالى لأحد من أنبيائه بالرسالة في كتابه إلا
له وفيه من تعظيمه وتمجيده على تأويل من قال إنه
يا سيد ما فيه وقد قال عليه السلام أنا سيد
ولد آدم ولا فخر وقال تعالى لا أقسم بهذا البلد
وأنت حل بهذا البلد قيل لا أقسم به إذا لم تكن
فيه بعد خروجك منه حكاه مكي وقيل لا زائدة أي

أقسم به وأنت به حل محمد حلال او حل لك على
ما فعلت فيه على التفسيرين والمراد بالبلد عند هؤلاء
مكة وقال الواسطي أي نحلف لك بهذا البلد
الذي شرفته بمكانك فيه حيا وببركتك ميتا يعني
المدينة والأول أصح لأن السورة مكية وما بعده
يصححه قوله تعالى وأنت حل بهذا البلد ونحوه قول
ابن عطاء في تفسير قوله وهذا البلد الأمين قال أمنها
الله تعالى بمقامه فيها وكونه بها فإن كونه أمان حيث
كان صلى الله عليه وسلم ثم قال تعالى ووالد وما
ولد من قال أراد آدم فهو عام ومن قال هو إبراهيم
وما ولد فهي إن شاء الله تعالى إشارة إلى محمد صلى
الله عليه وسلم فتتضمن السورة القسم به في موضعين
وقال تعالى الم ذلك الكتاب قال ابن عباس هذه
الحروف أقسام أقسم الله بها وعنه وعن غيره
فيها غير ذلك وقال سهل بن عبد الله التستري
الألف هو الله واللام جبريل والميم محمد عليهما
السلام وحكى هذا القول السمرقندي ولم ينسبه إلى
سهل وجعل معناه الله أنزل جبريل على محمد
بهذا القرآن لا ريب فيه وعلى الوجه الأول

يحتمل القسم أن هذا الكتاب حق لا ريب فيه ثم
فيه من فضيلته قران اسمه باسمه نحو ما تقدم وقال
ابن عطاء في قوله تعالى ق والقرآن المجيد أقسم بقوة
قلب حبيبه محمد صلى الله عليه وسلم حيث حمل
الخطاب والمشاهدة ولم يؤثر ذلك فيه لعلو حاله
وقيل هو اسم للقرآن وقيل هو اسم لله وقيل جبل
محيط بالأرض وقيل غير هذا وقال جعفر بن محمد
في تفسير والنجم إذا هوى إنه محمد صلى الله عليه
وسلم وقال النجم هو قلب محمد صلى الله عليه وسلم
هوى انشرح من الأنوار وقال انقطع عن غير الله
وقال ابن عطاء في قوله تعالى والفجر وليال عشر الفجر
محمد صلى الله عليه وسلم لأن منه تفجر الإيمان

الفصل الخامس

في قسمه تعالى جده له لتحقيق مكانته عنده قال الله
تعالى والضحى والليل إذا سجى السورة اختلف في
سبب نزول هذه الآية فقيل كان ترك النبي صلى
الله عليه وسلم قيام الليل لعذر نزل به فتكلمت
امرأة في ذلك بكلام وقيل بل تكلم به المشركون عند
فترة الوحي فنزلت السورة قال الفقيه القاضي

ابو الفضل رحمه الله تعلى تضمنت هذه السورة من
كرامة الله تعلى وتنويهه به وتعظيمه اياه ستة
وجوه الاول القسم له عما اخبره به من حاله بقوله
والضحى والليل اذا سجى اى ورب الضحى وهذا من اعظم
درجات المبرة الثانى بيان مكانته عنده وحظو
ته لديه بقوله ما ودعك ربك وما قلى اى ما تركك
وما ابغضك وقيل ما اهملك بعد ان اصطفاك الثالث
قوله تعلى وللاخرة خير لك من الاولى قال ابن اسحاق
اى مآلك فى مرجعك عند الله اعظم مما اعطاك
من كرامة الدنيا وقال سهل اى ما ذخرت لك من
الشفاعة والمقام المحمود خير لك مما اعطيتك فى الد
نيا الرابع قوله ولسوف يعطيك ربك فترضى
وهذه اية جامعة لوجوه الكرامة وانواع
السعادة وشتات الانعام فى الدارين والزيادة قال
ابن اسحاق يرضيه بالفلج فى الدنيا والثواب فى الا
خرة وقيل يعطيه الحوض والشفاعة وروى عن
بعض ال النبى صلى الله عليه وسلم انه قال
ليس اية فى القران ارجى منها ولا يرضى رسول الله
صلى الله عليه وسلم ان يدخل احد من امته النار

الخامس

الخامس ما عده تعلى عليه من نعمه وقرره من الائه
قبله فى بقية السورة من هدايته الى ما هداه له او
هداية الناس به على اختلاف التفاسير ولا مال
له فاغناه بما اتاه او بما جعله فى قلبه من القنا
عة والغنى ويتيما فحدب عليه عمه واواه اليه
وقيل اواه الله وقيل يتيما لا مثال لك
فاواك اليه وقيل المعنى الم يجدك فهدى بك ضا
لا واغنى بك عائلا واوى بك يتيما ذكره بهذه
المنن وانه على المعلوم من التفسير لم يهمله فى حا
ل صغره وعيلته ويتمه وقبل معرفته به ولا ودعه
ولا قلاه فكيف بعد اختصاصه واصطفائه
السادس امره باظهار نعمته عليه وشكر ما
شرفه به بنشره واشادة ذكره بقوله واما بنعمة
ربك فحدث فان من شكر النعمة الحديث بها وهذا
خاص له عام لامته وقال تعلى والنجم اذا
هوى الى قوله لقد راى من ايات ربه الكبرى اختلف
المفسرون فى قوله والنجم اذا هوى باقاويل معروفة
منها النجم على ظاهره ومنها القران وعن جعفر
بن محمد انه محمد عليه الصلاة والسلام وقال

تستعمل لفظ قلب محمد وفي فضله في قوله والسماء والطا
رق وما ادراك ما الطارق النجم الثاقب ان النجم
هنا سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام حكاه
السلمي تضمنت هذه الآيات من فضله وشرفه العد
ما يقف دونه العد وأقسم جل اسمه على هداية
المصطفى وتنزيهه عن الهوى وصدقه فيما تلى وانه
وحي يوحى أوصله اليه عن الله تعالى جبريل وهو الشديد
القوى ثم اخبر الله تعالى عن فضيلته بقصة
الاسراء وانتهائه الى سدرة المنتهى وتصديق بصره
فيما رأى وانه رأى من آيات ربه الكبرى وقد نبه تعالى
على مثل هذا في اول سورة الاسراء ولما كان ما
كاشفه عليه السلام من ذلك الجبروت وشاهده
من عجائب الملكوت لا تحيط به العبارات ولا تستقل
بحمل سماع ادناه العقول رمز عنه تعالى بالايماء
والكناية الدالة على التعظيم فقال فاوحى الى
عبده ما اوحى وهذا النوع من الكلام يسميه اهل
النقد والبلاغة بالوحي والاشارة وهو ابلغ
ابواب الايجاز عندهم وقال لقد رأى من آيات ربه
الكبرى انحسرت الافهام عن تفصيل ما اوحى وتا

هت

وتاهت الاحلام في تعيين تلك الآيات الكبرى
قال الفقيه القاضي رحمه الله تعالى واشتملت
هذه الآيات على اعلام الله تعالى بتزكية جملته
عليه الصلاة والسلام وعصمتها من الآفات في هذا
المسرى فزكى فؤاده ولسانه وجوارحه فزكى
قلبه بقوله ما كذب الفؤاد ما رأى ولسانه بقوله
وما ينطق عن الهوى وبصره بقوله ما زاغ البصر
وما طغى وقال تعالى فلا اقسم بالخنس الجوار
الكنس الى قوله وما هو بقول شيطان رجيم لا اقسم
اي اقسم انه لقول رسول كريم اي كريم عند مرسله
ذي قوة على تبليغ ما حمله من الوحي مكين اي متمكن
المنزلة من ربه رفيع المحل عنده مطاع ثم اي في
السماء امين على الوحي قال علي بن عيسى وغيره
الرسول الكريم هنا محمد صلى الله عليه وسلم
فجميع الاوصاف بعد على هذا له وقال غيره هو
جبريل فترجع الاوصاف اليه ولقد رآه يعني محمدا
صلى الله عليه وسلم قيل رأى ربه وقيل رأى جبريل
في صورته وما هو على الغيب بضنين اي بمتهم ومن قرأه
بالضاد فمعناه ما هو ببخيل بالرعاية والتذكير

بجهله وتعلمه ونبذه لعدوه بالتبيان وقال تعالى
ن والقلم الآيات أقسم الله تعالى بما أقسم به من
عظيم قسمه على تنزيه المصطفى مما غمصته الكفرة
به وتكذيبهم له وآنسه وبسط أمله بقوله محسنا
خطابه ما أنت بنعمة ربك بمجنون وهذه نهاية المبرة
في المخاطبة وأعلى درجات الآداب في المحاورة ثم
أعلمه بما له عنده من نعيم دائم وثواب غير منقطع
لا يأخذه عد ولا يمتن به عليه فقال وإن لك لأجرا
غير ممنون ثم أثنى عليه بما منحه من هباته وهداه إليه
وأكد ذلك تتميما للتمجيد بحرفي التأكيد فقال وإنك
لعلى خلق عظيم قيل القرآن وقيل الإسلام وقيل
الطبع الكريم وقيل ليس لك همة إلا الله تعالى
قال الواسطي أثنى عليه بحسن قبوله لما أسداه
إليه من نعمه وفضله بذلك على غيره لأنه جبله على
ذلك الخلق فسبحان اللطيف الكريم المحسن الجواد
الحميد الذي يسر للخير وهدى إليه ثم أثنى على فاعله
وجازاه عليه سبحانه ما أغمر نواله وأوسع إفضاله
ثم سلاه عن قولهم بعد هذا بما وعده به من عقابهم
وتوعدهم بقوله فستبصر ويبصرون الثلاث الآيات

ثم

ثم عطف بعد مدحه على ذم عدوه وذكر سوء خلقه
وعد معايبه متوليا ذلك بفضله ومنتصرا لنبيه
فذكر بضع عشرة خصلة من خصال الذم فيه بقوله
فلا تطع المكذبين إلى قوله أساطير الأولين ثم
ختم ذلك بالوعيد الصادق بتمام شقائه وخاتمة
دماره بقوله سنسمه على الخرطوم فكانت نصرة الله
له أتم من نصرته لنفسه ورده تعالى على عدوه أبلغ
من رده وأثبت في ديوان مجده

الفصل السادس

فيما ورد من قوله تعالى في جهته عليه الصلاة
والسلام مورد الشفقة والإكرام صلى الله عليه وسلم
قال الله تعالى طه ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى
قيل طه اسم من أسمائه عليه الصلاة والسلام وقيل
هو اسم لله وقيل معناه يا رجل وقيل يا إنسان
وقيل هي حروف مقطعة لمعان قال الواسطي
أراد يا طاهر يا هادي وقيل هو أمر من الوطء
والهاء كناية عن الأرض أي اعتمد على الأرض بقدميك
ولا تتعب نفسك بالاعتماد على قدم واحدة وهو
قوله تعالى ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى نزلت الآية

فيما كان النبي عليه السلام يتكلفه من السهر
والتعب وقيام الليل أخبرنا القاضي أبو
عبد الله محمد بن عبد الرحمن وغير واحد عن القاضي أبي
الوليد الباجي إجازة ومن أصله نقلت قال
حدثنا أبو ذر الحافظ قال حدثنا أبو محمد الحموي
قال حدثنا إبراهيم بن خزيم الشاشي قال حدثنا
عبد بن حميد حدثنا هاشم بن القاسم عن أبي جعفر
عن الربيع بن أنس قال كان النبي صلى الله عليه
وسلم إذا صلى قام على رجل ورفع الأخرى
فأنزل الله تعالى طه يعني طإ الأرض يا محمد ما
أنزلنا عليك القرآن لتشقى ولا خفاء بما في هذا كله
من الإكرام وحسن المعاملة وإن جعلنا طه من
أسمائه عليه الصلاة والسلام كما قيل أو جعلت
قسما لحق الفصل عما قبله ومثل هذا من نمط الشفقة
والمبرة قوله تعالى فلعلك باخع نفسك على آثارهم
إن لم يؤمنوا بهذا الحديث أسفا أي قاتل نفسك
لذلك غضبا أو غيظا أو جزعا ومثله قوله تعالى
أيضا لعلك باخع نفسك ألا يكونوا مؤمنين ثم قال
إن نشأ ننزل عليهم من السماء آية فظلت أعنا

قهم

قهم لها خاضعين ومن هذا الباب قوله تعالى
فاصدع بما تؤمر وأعرض عن المشركين إلى قوله
ولقد نعلم أنك يضيق صدرك بما يقولون إلى آخر
السورة وقوله ولقد استهزئ برسل من قبلك الآ
ية قال مكي سلاه الله تعالى بما ذكره وهون
عليه ما يلقى من المشركين وأعلمه أن من تمادى على
ذلك يحل به ما حل بمن قبله ومثل هذه
التسلية قوله تعالى وإن يكذبوك فقد كذبت رسل من
قبلك ومن هذا قوله تعالى كذلك ما أتى الذين
من قبلهم من رسول إلا قالوا ساحر أو مجنون عزاه
الله تعالى بما أخبر به عن الأمم السالفة ومقالها
لأنبيائهم قبله ومحنتهم بهم وسلاه بذلك عن
محنته بمثله من كفار مكة وأنه ليس أول من لقي ذلك
ثم طيب نفسه وأبان عذره بقوله فتول عنهم
أي أعرض عنهم فما أنت بملوم أي في أداء ما بلغت
وإبلاغ ما حملت ومثله قوله تعالى واصبر لحكم
ربك فإنك بأعيننا أي اصبر على أذاهم فإنك بحيث
نراك ونحفظك سلاه الله تعالى بهذا في آي كثيرة
من هذا المعنى

الفصل السابع

فيما اخبر الله تعالى به في كتابه العزيز من عظيم
قدره وشريف منزلته على الانبياء وحظوة
رتبته قوله تعالى واذ اخذ الله ميثاق النبيين لما
آتيتكم من كتاب وحكمة الى قوله من الشاهدين
قال ابو الحسن القابسي استخص الله تعالى محمدا
بفضل لم يؤته غيره ابانه به وهو ما ذكره في هذه
الآية قال المفسرون اخذ الله الميثاق بالوحي
فلم يبعث نبيا الا ذكر له محمدا عليه السلام
ونعته واخذ عليه ميثاقه ان ادركه ليؤمنن به
وقيل ان يبينه لقومه ويأخذ ميثاقهم ان يبينوه
لمن بعدهم وقوله تعالى ثم جاءكم رسول الخطاب
لاهل الكتاب المعاصرين لمحمد صلى الله عليه وسلم
قال علي بن ابي طالب رضي الله عنه لم يبعث
الله نبيا من آدم فمن بعده الا اخذ عليه العهد
في محمد لئن بعث وهو حي ليؤمنن به ولينصرنه
ويأخذ العهد بذلك على قومه ونحوه عن السدي وقتادة
في آي تضمنت فضله من غير وجه واحد قال الله
تعالى واذ اخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح

الآية

الآية وقال انا اوحينا اليك كما اوحينا الى
نوح والنبيين من بعده الى قوله وكيلا روي عن
عمر بن الخطاب رضي الله عنه انه قال في كلام بكى
به النبي صلى الله عليه وسلم فقال بأبي انت وامي
يا رسول الله لقد بلغ من فضيلتك عند الله ان بعثك
آخر الانبياء وذكرك في اولهم وانا اخذنا من
النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح الآية بأبي انت
وامي يا رسول الله لقد بلغ من فضيلتك عنده
ان اهل النار يودون ان يكونوا اطاعوك وهم
بين اطباقها يعذبون يقولون يا ليتنا اطعنا الله
واطعنا الرسولا قال قتادة ان النبي صلى
الله عليه وسلم قال كنت اول الانبياء في الخلق
وآخرهم في البعث فلذلك وقع ذكره مقدما
هنا قبل نوح وغيره قال السمرقندي في هذا
تفضيل نبينا عليه الصلاة والسلام لتخصيصه
بالذكر قبلهم وهو آخرهم المعنى اخذ الله عليهم
الميثاق اذ اخرجهم من ظهر آدم كالذر وقال
تعالى تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض الآية
قال اهل التفسير اراد بقوله ورفع بعضهم

في رجلنا محمد أ عليه الصلاة والسلام بأنه
بعث للأحمر والأسود وأحلت له الغنائم
ونصرت على يديه المعجزات وليس أحد من الأنبياء
أعطي فضيلة أو كرامة إلا وقد أعطي محمد مثلها
قال بعضهم ومن فضله أن الله تعالى خاطب
الأنبياء بأسمائهم وخاطبه بالنبوة والرسالة
في كتابه فقال يا أيها النبي، يا أيها الرسول
وحكى السمرقندي عن الكلبي في قوله تعالى وإن من شيعته
لإبراهيم أن الهاء عائدة على محمد عليه السلام
أي إن من شيعة محمد لإبراهيم أي على دينه
ومنهاجه وأجازه الفراء وحكاه مكي وقيل المراد
نوح عليه السلام.

الفصل الثاني

في إعلام الله تعالى خلقه بصلاته عليه وولايته له
ورفعه العذاب بسببه قال الله تعالى وما كان الله
ليعذبهم وأنت فيهم أي ما كنت بمكة فلما خرج
النبي عليه السلام من مكة وبقي فيها من بقي من المؤمنين
نزل وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون
وهذا مثل قوله تعالى لو تزيلوا الآية وقوله تعالى

ولولا رجال مؤمنون الآية فلما هاجر المؤمنون
نزلت وما لهم ألا يعذبهم الله وهذا من أبين ما
يظهر مكانته عليه السلام ودرأته العذاب
عن أهل مكة بسبب كونه ثم كون أصحابه بعده بين
أظهرهم فلما خلت مكة منهم عذبهم بتسليط
المؤمنين عليهم وغلبتهم إياهم وحكم فيهم سيوفهم
وأورثهم أرضهم وديارهم وأموالهم وفي الآية
أيضا تأويل آخر حدثنا القاضي الشهيد
أبو علي رحمه الله تعالى بقراءتي عليه ثنا أبو الفضل
ابن خيرون وأبو الحسين الصيرفي ثنا أبو يعلى بن زوج
الحرة ثنا أبو علي السنجي ثنا محمد بن أحمد بن
محبوب المروزي ثنا أبو عيسى الحافظ ثنا سفيان
ابن وكيع ثنا ابن نمير عن إسماعيل بن إبراهيم
ابن مهاجر عن عباد بن يوسف عن أبي بردة عن أبي موسى
عن أبيه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
أنزل الله تعالى علي أمانين لأمتي وما كان الله
ليعذبهم وأنت فيهم وما كان الله معذبهم وهم
يستغفرون فإذا مضيت تركت فيهم الاستغفار
ونحو منه قوله تعالى وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين

قال عليه الصلاة والسلام أنا أمان لأصحابي
قيل من البدع وقيل من الاختلاف والفتن قال
بعضهم الرسول عليه الصلاة والسلام هو الأمان
الأعظم ما عاش وما دامت سنته باقية فهو باق
فإذا أميتت سنته فانتظر البلاء والفتن
وقال الله تعالى إن الله وملائكته يصلون على
النبيء يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا
تسليما الآية أبان الله فضل نبيه بصلاته عليه
ثم بصلاة ملائكته عليه وأمر عباده بالصلاة
والتسليم عليه وقد حكى أبو بكر بن فورك أن بعض
العلماء تأول قوله عليه السلام وجعلت قرة
عيني في الصلاة على هذا أي في صلاة الله علي وملا
ئكته وأمره الأمة بذلك إلى يوم القيامة والصلاة
من الملائكة ومنا له دعاء ومن الله رحمة وقيل
يصلون يباركون وقد فرق النبي صلى الله عليه وسلم
حين علم الصلاة عليه بين لفظ الصلاة والبركة
وسنذكر حكم الصلاة عليه وذكر بعض المتكلمين في
تفسير حروف كهيعص أن الكاف من كاف أي كفاية
الله لنبيه قال الله تعالى أليس الله بكاف عبده

والهاء

والهاء هدايته له قال الله ويهديك صراطا
مستقيما والياء تأييده له قال وأيدك بنصره وال
والعين عصمته له قال والله يعصمك من الناس
والصاد صلاته عليه قال إن الله وملائكته يصلون
على النبيء وقال تعالى وإن تظاهرا عليه فإن الله
هو مولاه الآية مولاه أي وليه وجبريل وصالح المؤ
منين قيل الأنبياء وقيل الملائكة وقيل أبو بكر
وعمر وعلي وقيل المؤمنون على ظاهره •

• الفصل التاسع •

فيما تضمنته سورة الفتح من كراماته عليه الصلاة
والسلام قال الله تعالى إنا فتحنا لك فتحا مبينا
إلى قوله يد الله فوق أيديهم تضمنت هذه الآيات
من فضله والثناء عليه وكريم منزلته عند الله ونعمته
لديه ما يقصر الوصف عن الانتهاء إليه فابتداء
جلاله بإعلامه بما قضاه له من القضاء البين بظهوره
وغلبته على عدوه وعلو كلمته وشريعته وأنه
مغفور له غير مؤاخذ بما كان وما يكون قال بعضهم
أراد غفران ما وقع وما لم يقع أي أنت مغفور لك
وقال مكي جعل المنة سببا للمغفرة وكل من عنده

تم الله غيره فقد بعد منة وتفضلا بعد فضل ثم قال
ويتم نعمته عليك قيل بخضوع من تكبر لك وقيل
بفتح مكة والطائف وقيل برفع ذكرك في الدنيا
وينفعك ويشفع لك فأعلمه بتمام نعمته عليه بخضوع
متكبري عدوه له وفتح أهم البلاد عليه واجتماع اله
ورفع ذكره وهدايته إلى الصراط المستقيم المبلغ
الجنة والسعادة ونصره النصر العزيز وامتنانه على أمته
المؤمنين بالسكينة والطمأنينة التي جعلها في قلوب
بيعتهم وبشارتهم على الثقة بعد موعدهم العظيم والعفو
عنهم والستر لذنوبهم وتغليظ عدوه في الدنيا والآخرة
ولعنهم وتبعيدهم من رحمته وسوء منقلبهم ثم قال
إنا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا الآية فعدد
محاسنه وخصائصه من شهادته على أمته لنفسه
بتبليغه الرسالة وقيل شاهدا لهم بالتوحيد ومبشرا
لأمته بالثواب وقيل بالمغفرة ومنذرا عدوه بالعذاب
وقيل محذرا من الضلالات ليؤمن بالله ثم به من سبقت له
من الله الحسنى وتعزروه أي تجلونه وقيل تنصرونه وقيل
تبالغون في تعظيمه وتوقروه أي تعظموه
وقرأ بعضهم وتعززوه بزايين من العز والأكثر والأظهر

أن

أن هذا في حق محمد صلى الله عليه وسلم ثم قال
وتسبحوه فهذا راجع إلى الله تعالى قال ابن عطاء جمع
للنبي صلى الله عليه وسلم في هذه السورة نعم مختلفة
من الفتح المبين وهو من أعلام الإجابة والمغفرة وهي
من أعلام المحبة وتمام النعمة وهي من أعلام الاختصاص
والهداية وهي من أعلام الولاية فالمغفرة تبرئة
من العيوب وتمام النعمة إبلاغ الدرجة الكاملة
والهداية وهي الدعوة إلى المشاهدة وقال جعفر
ابن محمد من تمام نعمته عليه أن جعله حبيبه وأقسم
بحياته ونسخ به شرائع غيره وعرج به إلى المحل الأ
على وحفظه في المعراج حتى ما زاغ البصر وما طغى
وبعثه إلى الأحمر والأسود وأحل له ولأمته الغنائم
وجعله شفيعا مشفعا وسيد ولد آدم وقرن ذكره
بذكره ورضاه برضاه وجعله أحد ركني التوحيد
ثم قال إن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله
ببيعتهم إياك يد الله فوق أيديهم يريد عند البيعة
قيل قوة الله وقيل ثوابه وقيل منته وقيل عقده
وهذه استعارة وتجنيس في الكلام وتأكيد لعقد
بيعتهم إياه وعظم شأن المبايع صلى الله عليه

وسلم وقد يكون من هذا قوله تعالى فلم تقتلوهم ولكن
الله قتلهم وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى
وان كان الاول في باب المجاز وهذا في باب الحقيقة
لان القاتل والرامي بالحقيقة هو الله تعالى وهو
خالق فعله ورميه وقدرته عليه ومشيئته ولانه
ليس في قدرة البشر توصيل تلك الرمية حيث وصلت
حتى لم يبق منهم من لم تملا عينيه وكذلك قتل الملا
يكة لهم حقيقة وقد قيل في هذه الاية الاخرى انها
على المجاز العربي ومقابلة اللفظ ومناسبته اي ما
قتلتموهم وما رميتهم انت اذ رميت وجوههم
بالحصباء والتراب ولكن الله رمى قلوبهم بالجزع
اي ان منفعة الرمي كانت من فعل الله تعالى فهو القا
تل والرامي بالمعنى وانت بالاسم •

• الفصل العاشر •

فيما اظهره الله تعالى في كتابه العزيز من كرامته
عليه ومكانته عنده وما خصه به من ذلك سوى
ما انتظم فيما ذكرناه قبل من ذلك ما قصه الله
تعالى في قصة الاسراء في سورة سبحان والنجم وما
انطوت عليه القصة من عظيم منزلته وقربه ومشا

هدته

هدته ما انتهى اليه من العجائب ومن ذلك عصمته من
الناس بقوله والله يعصمك من الناس وقوله واذ يمكر
بك الذين كفروا الاية وقوله الا تنصروه فقد نصره
الله وما دفع الله عنه به في هذه القصة من اذاهم
بعد تحزبهم لهلكه وخلوصه نجيا في امره والاخذ
بابصارهم عند خروجه عليهم وذهولهم عن طلبه
في الغار وما ظهر في ذلك من الايات ونزول السكينة
عليه وقصة سراقة بن مالك حسبما ذكره اهل الحديث
والسير في قصة الغار وحديث الهجرة ومنه قوله تعالى
انا اعطيناك الكوثر فصل لربك وانحر ان شانئك هو
الابتر اعلمه الله بما اعطاه والكوثر حوضه وقيل
نهر في الجنة وقيل الخير الكثير وقيل الشفاعة
وقيل المعجزات الكثيرة وقيل النبوة وقيل المعرفة
ثم اجاب عنه عدوه ورد عليه قوله فقال ان شانئك
هو الابتر اي عدوك ومبغضك والابتر الحقير
الذليل او المنفرد الوحيد او الذي لا خير فيه وقال
تعالى ولقد اتيناك سبعا من المثاني والقران العظيم
قيل السبع المثاني السور الطوال الاول والقرا
ن العظيم ام القران وقيل السبع المثاني ام القران

والقرآن العظيم سائره وقيل السبع المثاني
ما في القرآن من أمر ونهي وبشرى وإنذار وضرب
مثل وإعداد نعم وآتيناك نبأ القرآن العظيم
وقيل سميت أم القرآن مثاني لأنها تثنى في
كل ركعة وقيل بل الله استثناها لمحمد وذخرها
له دون الأنبياء صلى الله عليه وسلم وسمي
القرآن مثاني لأن القصص تثنى فيه وقيل السبع
المثاني أكرمناك بسبع كرامات الهدى والنبوة
والرحمة والشفاعة والولاية والتعظيم والسكينة
وقال وأنزلنا إليك الذكر الآية وقال وما أرسلناك
إلا كافة للناس بشيرا ونذيرا وقال قل يا أيها الناس
إني رسول الله إليكم جميعا الآية قال الفقيه
القاضي أبو الفضل رحمه الله فهذه من خصائصه
وقال تعالى وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه
ليبين لهم فخصهم بقومهم وبعث محمدا عليه
الصلاة والسلام إلى الخلق كافة كما قال عليه
السلام بعثت إلى الأحمر والأسود وقال تعالى
النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم وأزواجه أمهاتهم
قال أهل التفسير أولى بالمؤمنين أي ما أنفذه

فيهم

فيهم من أمر فهو ماض عليهم كما يمضي حكم السيد
على عبده وقيل اتباع أمره أولى من اتباع رأي نفسه
وأزواجه أمهاتهم أي هن في الحرمة كالأمهات
حرم نكاحهن عليهم بعده تكرمة له وخصوصية
ولأنهن له أزواج في الآخرة وقرينة وثواب لهم ولا
تنكح أبدا لأن مخالفته المعصية وقال الله تعالى
وأنزل الله عليك الكتاب والحكمة الآية قيل فضله
العظيم بالنبوة وقيل بما سبق له في الأزل وأشار
الواسطي إلى أنها إشارة إلى احتمال الرؤية التي
لم يحتملها موسى عليهما الصلاة والسلام

الباب الثاني

في تكميل الله له المحاسن خلقا وخلقا وقرانه جميع
الفضائل الدينية والدنيوية فيه نسقا صلى الله
عليه وسلم اعلم أيها المحب لهذا النبي
الكريم الباحث عن تفاصيل جمل قدره العظيم
أن خصال الجلال والكمال في البشر نوعان ضروري
دنيوي اقتضته الجبلة وضرورة الحياة الدنيا
ومكتسب ديني وهو ما يحمد فاعله ويقرب إلى الله
سبحانه زلفى ثم هي على فنين أيضا منها ما يتخلص

لا جبر أو ضيق ومنها ما يتمازج ويشترك فأصل
الضروري المحض ما ليس للمرء فيه اختيار ولا اكتسا
ب مثل ما كان في جبلته من كمال خلقته وجمال
صورته وقوة عقله وصحة ذهنه وفصاحة لسانه
وقوة حواسه وأعضائه واعتدال حركاته وشرف
نسبه وعزة قومه وكرم أرضه ويلحق به ما تدعو
ضرورة حياته إليه من غذائه ونومه وملبسه
ومسكنه ومنكحه وماله وجاهه وقد تلحق هذه
الخصال الآخرة بالأخروية إذا قصد بها التقوى
ومعونة البدن على طلب طاعة ربه وكانتا على
حدود الضرورة وقوانين الشريعة وأما المكتسبة
الأخروية فسائر الأخلاق العلية والآداب الشر
عية من الدين والعلم والحلم والصبر والشكر والعد
ل والزهد والتواضع والعفو والعفة والشجاعة
والحياء والمروءة والصمت والسكينة والوقار والر
حمة وحسن الأدب والمعاشرة وأخواتها وهي
التي جماعها حسن الخلق وقد يكون من هذه الأ
خلاق ما هو بالغريزة وأصل الجبلة لبعض النا
س وبعضهم لا تكون فيه فيكتسبها ولكنه لا بد

أن

أن يكون فيه أصولها من أصل الجبلة شعبة يكمل
بسببه إن شاء الله تعالى وتكون هذه الأخلاق
دنيوية إذا لم يرد بها وجه الله تعالى والدار
الآخرة ولكنها كلها محاسن وفضائل باتفاق
أصحاب العقول السليمة وإن اختلفوا في موجب
حسنها وتفضيلها •

• فصل •

قال الفقيه القاضي رحمه الله إذا كانت خصال
الكمال والجلال ما ذكرناه ووجدنا الواحد منا
يشرف بواحدة منها أو اثنتين إن اتفقت له
في كل عصر إما من نسب أو جمال أو قوة أو علم
أو حلم أو شجاعة أو سماحة حتى يعظم قدره
ويضرب باسمه الأمثال ويتقرر له بالوصف بذلك
في القلوب أثرة وعظمة وهو منذ عصور خوال
رمم بوال فما ظنك بعظيم قدر من اجتمعت فيه
كل هذه الخصال إلى ما لا يأخذه عد ولا يعبر
عنه مقال ولا ينال بكسب ولا حيلة إلا بتخصيص
الكبير المتعال من فضيلة النبوة والرسالة
والخلة والمحبة والاصطفاء والإسراء والرؤية

والقرب والدنو والوحي والشفاعة والوسـ
ـيلة والدرجة الرفيعة والمقام المحمود والبرا
ق والمعراج والبعث إلى الأحمر والأسود والص
لاة بالأنبياء والشهادة بين الأنبياء والأ
مم وسيادة ولد آدم ولواء الحمد والبشارة
والنذارة والمكانة عند ذي العرش والطاعة
ثم والأمانة والهداية ورحمة للعالمين وإعطا
ء الرضى والسؤل والكوثر وسماع القول وإتمام
النعمة والعفو عما تقدم وما تأخر وشرح الصدر
ووضع الوزر ورفع الذكر وعزة النصر ونزول
السكينة والتأييد بالملائكة وإيتاء الكتاب
والحكمة والسبع المثاني والقرآن العظيم وتزكية
الأمة والدعاء إلى الله تعالى وصلاة الله و
الملائكة والحكم بين الناس بما أراه الله ووضع
الإصر والأغلال عنهم والقسم باسمه وإجابة
دعوته وتكليم الجمادات والعجم وإحياء الموتى
وإسماع الصم ونبع الماء من بين أصابع
وتكثير القليل وانشقاق القمر ورد الشمس وقلب
الأعيان والنصر بالرعب والاطلاع على الغيب

وظل

وظل الغمام وتسبيح الحصا وإبراء الآلام و
العصمة من الناس إلى ما لا يحويه محتفل ولا يحيط
بعلمه إلا مانحه ذلك ومفضله به لا إله غيره
إلى ما أعد الله تعالى له في الدار الآخرة من منازل
الكرامة ودرجات القدس ومراتب السعادة
والحسنى والزيادة التي تقف دونها العقول
ويحار دون إدراكها الوهم.

فصل

فإن قلت أكرمك الله لا خفاء على القطع
بالجملة أنه عليه الصلاة والسلام أعلى الناس
قدرا وأعظمهم محلا وأكملهم محاسن وفضلا
وقد ذهبت في تفاصيل خصال الكمال مذهبا جميلا
شوقني إلى أن أقف عليها من أوصافه صلى الله
عليه وسلم تفصيلا فاعلم نور الله قلبي
وقلبك وضاعف في هذا النبي الكريم حبي وحبك
أنك إذا نظرت إلى خصال الكمال التي هي
غير مكتسبة وفي جبلة الخلقة وجدته عليه
السلام حائزا لجميعها محيطا بشتات محا
سنها دون خلاف بين نقلة الأخبار لذلك

بل فيه بلغ بعضها مبلغ القطع أما الصورة
وجمالها وتناسب أعضائه في حسنها فقد جاء
ت الآثار الصحيحة والمشهورة الكثيرة بذلك
من حديث علي وأنس بن مالك وأبي هريرة والبراء بن
عازب وعائشة أم المؤمنين وابن أبي هالة وأبي
جحيفة وجابر بن سمرة وأم معبد وابن عباس ومعرض
بن معيقيب وأبي الطفيل والعداء بن خالد
وخريم بن فاتك وحكيم بن حزام وغيرهم رضي الله
عنهم أنه كان صلى الله عليه وسلم أزهر اللون
أدعج أنجل أشكل أهدب الأشفار أبلج أزج أقنى
أفلج مدور الوجه واسع الجبين كث اللحية تملأ
صدره سواء البطن والصدر واسع الصدر عظيم
المنكبين ضخم العظام عبل العضدين والذراعين
والأسافل رحب الكفين والقدمين سائل الأطراف
أنور المتجرد دقيق المسربة ربعة القد ليس با
لطويل البائن ولا القصير المتردد ومع ذلك
فلم يكن يماشيه أحد ينسب إلى الطول إلا طا
له صلى الله عليه وسلم رجل الشعر إذا افتر
ضاحكا افتر عن مثل سنا البرق وعن مثل حب

الغمام

الغمام إذا تكلم رئي كالنور يخرج من بين ثناياه
أحسن الناس عنقا ليس بمطهم ولا مكلثم متماس
ك البدن ضرب اللحم قال البراء رضي الله عنه
ما رأيت من ذي لمة في حلة حمراء أحسن من رسول
الله صلى الله عليه وسلم وقال أبو هريرة ما رأ
يت شيئا أحسن من رسول الله صلى الله عليه وسلم
كأن الشمس تجري في وجهه وإذا ضحك يتلألأ في
الجدر وقال جابر بن سمرة رضي الله عنه وقال له
رجل كان وجه رسول الله صلى الله عليه
وسلم مثل السيف فقال لا بل مثل الشمس
والقمر وكان مستديرا وقالت أم معبد في بعض
ما وصفته به أجمل الناس من بعيد وأحلاه
وأحسنه من قريب وفي حديث ابن أبي هالة يتلألأ
وجهه تلألؤ القمر ليلة البدر وقال علي في آ
خر وصفه له من رآه بديهة هابه ومن خالطه
معرفة أحبه يقول ناعته لم أر قبله ولا بعده
مثله صلى الله عليه وسلم والأحاديث في
بسط صفته مشهورة كثيرة فلا نطول بسردها
وقد اختصرنا في وصفه نكت ما جاء فيها وجملة

ثم أعيد الكلام فيه في الفصل التالي المطلوب إن شاء
الله تعالى وقد ختمنا هذه الفصول بحديث جامع
لذلك تقف عليه هناك إن شاء الله تعالى

فصل

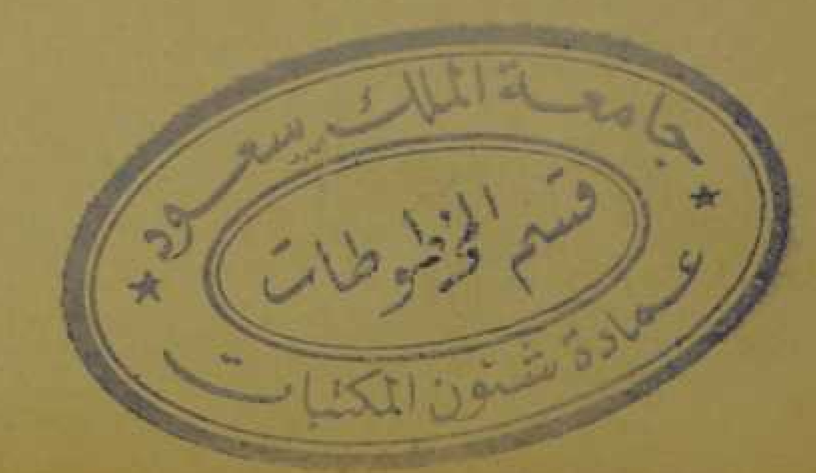
وأما نظافة جسمه وطيب ريحه وعرقه ونزا
هته عن الأقذار وعورات الجسد فكان قد خصه
الله تعالى في ذلك بخصائص لم توجد في غيره ثم
تممها بنظافة الشرع وخصال الفطرة العشر
وقال عليه الصلاة والسلام بني الدين على
النظافة حدثنا سفيان بن العاصي وغير
واحد قالوا حدثنا أحمد بن عمر حدثنا أبو العباس
الرازي حدثنا أبو أحمد الجلودي حدثنا ابن سفيان حدثنا
مسلم حدثنا قتيبة حدثنا جعفر بن سليمان عن ثابت
عن أنس قال ما شممت عنبرا قط ولا مسكا ولا
شيئا أطيب من ريح رسول الله صلى الله عليه وسلم
وعن جابر بن سمرة أنه صلى الله عليه وسلم مسح
خده قال فوجدت ليده بردا وريحا كأنما أخر
جها من جؤنة عطار قال غيره مسها بطيب أو لم
يمسها يصافح المصافح فيظل يومه يجد ريحها

ويضع

ويضع يده على رأس الصبي فيعرف من بين الصبيان
بريحها ونام رسول الله صلى الله عليه وسلم
في دار أنس فعرق فجاءت أمه بقارورة تجمع
فيها عرقه فسألها رسول الله صلى الله عليه وسلم
عن ذلك فقالت نجعله في طيبنا وهو من أطيب
الطيب وذكر البخاري في تاريخه الكبير عن جابر لم يكن
النبي صلى الله عليه وسلم يمر في طريق فيتبعه
أحد إلا عرف أنه سلكه من طيبه وذكر إسحاق بن راه
ويه أن تلك كانت رائحته بلا طيب صلى الله عليه
وسلم وروى المزني عن جابر أردفني النبي صلى
الله عليه وسلم خلفه فالتقمت خاتم النبوة
بفمي فكان ينم علي مسكا وقد حكى بعض المعتنين
بأخباره وشمائله أنه عليه الصلاة والسلام
كان إذا أراد أن يتغوط انشقت الأرض فابـ
تلعت غائطه وبوله وفاحت لذلك رائحة
طيبة صلى الله عليه وسلم وأسند محمد بن سعد كاتب
الواقدي في هذا خبرا عن عائشة رضي الله عنها أنها
قالت للنبي صلى الله عليه وسلم إنك تأتي الخلاء فلا نرى
لك شيئا من الأذى فقال يا عائشة أوما علمت

أن الأرض تبتلع ما يخرج من الأنبياء فلا يرى منه
شيء، وهذا الخبر وإن لم يكن قوياً فمن أمثله قال قوم
من أهل العلم بطهارة الحدث منه صلى الله عليه
وسلم وهو قول بعض أصحاب الشافعي حكاه الإمام
أبو نصر بن الصباغ في شامله وقد حكى القولين
عن العلماء في ذلك أيضاً أبو بكر بن سابق المالكي في كتابه
البديع في فروع المالكية وتخريج ما لم يقع لهم
منها على مذهبهم من تفاريع الشافعية وشاهد
هذا أنه صلى الله عليه وسلم لم يكن منه شيء يكره
ولا غير طيب ومنه حديث علي رضي الله عنه
غسلت النبي صلى الله عليه وسلم فذهبت أنظر
ما يكون من الميت فلم أجد شيئاً فقلت طبت حياً
وميتاً قال وسطعت منه ريح لم نجد مثلها قط
وفي مثله قال أبو بكر حين قبّل النبي صلى الله عليه
وسلم بعد موته ومنه شرب مالك بن سنان دمه
يوم أحد ومصه إياه وتسويغه صلى الله عليه
وسلم ذلك له وقوله لن تصيبه النار ومثله
شرب عبد الله بن الزبير دم حجامته وقال له
عليه السلام ويل لك من الناس وويل لهم منك ولم

ينكره



ينكره وقد روي نحو من هذا عنه عليه السلام في
امرأة شربت بوله فقال لها لن تشتكي وجع
بطنك أبداً ولم يأمر واحداً منهم بغسل فم ولا نهاه
عن عودة وحديث هذه المرأة التي شربت بوله
صحيح ألزم الدارقطني مسلماً والبخاري إخراجه
في الصحيح واسم هذه المرأة بركة وقيل هي أم أيمن
واختلف في نسبها وكانت تخدم النبي صلى الله
عليه وسلم قالت وكان لرسول الله صلى الله
عليه وسلم قدح من عيدان يوضع تحت سريره
يبول فيه من الليل فبال فيه ليلة ثم افتقده فلم
يجد فيه شيئاً فسأل بركة عنه فقالت قمت وأنا
عطشانة فشربته وأنا لا أعلم روى حديثها
ابن جريج وغيره وكان النبي صلى الله عليه وسلم
قد ولد مختوناً مقطوع السرة وقد روي عن أمه آمنة
أنها قالت ولدته نظيفاً ما به قذر وعن عائشة
رضي الله عنها قالت ما رأيت فرج النبي صلى
الله عليه وسلم قط وعن علي رضي الله عنه
أوصاني النبي صلى الله عليه وسلم لا يغسله غيري
فإنه لا يرى أحد عورتي إلا طمست عيناه وفي حديث

عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنه أنه صلى الله
عليه وسلم نام حتى سمع له غطيطه فقام فصلى
ولم يتوضأ قال عكرمة لأنه كان صلى الله عليه
وسلم محفوظا • **فصل**

وأما وفور عقله صلى الله عليه وسلم وذكاء لبه
وقوة حواسه وفصاحة لسانه واعتدال حركاته
وحسن شمائله صلى الله عليه وسلم فلا مرية أنه كان
أعقل الناس وأذكاهم ومن تأمل تدبيره أمر بواطن
الخلق وظواهرهم وسياسة العامة والخاصة
مع عجيب شمائله وبديع سيره فضلا عما أفاضه
من العلم وقرره من الشرع دون تعلم سبق ولا ممارسة
تقدمت ولا مطالعة للكتب منه لم يمتر في رجحان
عقله وثقوب فهمه لأول بديهة وهذا مما لا يحتاج
إلى تقرير لتحققه وقد قال وهب بن منبه قرأت في إحدى
وسبعين كتابا فوجدت في جميعها أن النبي صلى
الله عليه وسلم أرجح الناس عقلا وأفضلهم
رأيا وفي رواية أخرى فوجدت في جميعها أن الله
تعالى لم يعط جميع الناس من بدء الدنيا إلى انقضا
ئها من العقل في جنب عقله صلى الله عليه وسلم

إلا كحبة رمل من بين رمال الدنيا وقال مجاهد
كان عليه الصلاة والسلام إذا قام في الصلاة
يرى من خلفه كما يرى من بين يديه صلى الله عليه
وسلم وبه فسر قوله تعالى وتقلبك في السا
جدين وفي الموطأ عنه عليه الصلاة والسلام
إني لأراكم من وراء ظهري ونحوه عن أنس في الصحيحين
وعن عائشة مثله قالت زيادة زادها الله
إياها في حجته وفي بعض الروايات إني لأنظر
من ورائي كما أنظر من بين يدي وفي أخرى إني لأبصر من
قفاي كما أبصر من بين يدي وحكى بقي بن مخلد عن عا
ئشة رضي الله عنها كان النبي صلى الله عليه وسلم
يرى في الظلمة كما يرى في الضوء والأخبار كثيرة
صحيحة في رؤيته صلى الله عليه وسلم للملائكة
والشياطين ورفع النجاشي له حتى صلى عليه وبيت
المقدس حين وصفه لقريش والكعبة حين بنى مسجده
وحكي عنه صلى الله عليه وسلم أنه كان يرى
في الثريا أحد عشر نجما وهذه كلها محمولة على رؤية
العين وهو قول أحمد بن حنبل وغيره وذهب بعضهم
إلى ردها إلى العلم والظواهر تخالفه ولا إحالة

في ذلك ونحوه من خواص الأنبياء وخصائصهم كما أخبرنا
أبو محمد عبد الله بن أحمد العدل من كتابه حدثنا
أبو الحسن المقرئ الفرغاني حدثتنا أم القاسم
بنت أبي بكر عن أبيها ثنا الشريف أبو الحسن علي
ابن محمد الحسني نا محمد بن محمد بن سعيد نا محمد بن أحمد بن
سليمان نا محمد بن محمد بن مرزوق نا همام نا الحسن
عن قتادة عن يحيى بن وثاب عن أبي هريرة عن النبي
صلى الله عليه وسلم قال لما تجلى الله لموسى
عليه وسلم كان يبصر النملة على الصفا في الليلة
الظلماء مسيرة عشرة فراسخ ولا يبعد على هذا أن
يختص نبينا عليه السلام بما ذكرناه من هذا الباب
بعد الإسراء والحظوة بما رأى من آيات ربه الكبرى
وقد جاءت الأخبار أنه صرع ركانة أشد أهل وقته
وكان دعاه إلى الإسلام وصارع أبا ركانة في
الجاهلية وكان شديدا وعاوده ثلاث مرات
كل ذلك يصرعه رسول الله صلى الله عليه وسلم
وقال أبو هريرة ما رأيت أحدا أسرع من رسول
الله صلى الله عليه وسلم في مشيه كأنما الأرض
تطوى له إنا لنجهد أنفسنا وهو غير مكترث وفي

صفته

صفته أن ضحكه كان تبسما إذا التفت التفت
معا وإذا مشى مشى تقلعا كأنما ينحط من صبب

فصل

وأما فصاحة اللسان وبلاغة القول فقد كان
النبي صلى الله عليه وسلم من ذلك بالمحل الأفضل
والموضع الذي لا يجهل سلاسة طبع وبراعة منزع
وإيجاز مقطع ونصاعة لفظ وجزالة قول وصحة
معان وقلة تكلف أوتي جوامع الكلم وخص
ببدائع الحكم وعلم ألسنة العرب فكان يخاطب
كل أمة منها بلسانها ويحاورها بلغتها ويبا
ريها في منزع بلاغتها حتى كان كثير من أصحابه
يسألونه في غير موطن عن شرح كلامه وتفسير قوله
من تأمل حديثه وسيره علم ذلك وتحققه وليس
كلامه مع قريش والأنصار وأهل الحجاز ونجد
ككلامه مع ذي المشعار الهمداني وطهفة النهدي
وقطن بن حارثة العليمي والأشعث بن قيس ووائل
ابن حجر الكندي وغيرهم من أقيال حضرموت وملوك
اليمن وانظر كتابه إلى همدان إن لكم فراعها ووها
طها وعزازها تأكلون علافها وترعون عفاءها

لنا من دفئهم وصرامهم ما سلموا بالميثاق والأمانة
ولهم من الصدقة الثلب والناب والفصيل
والفارض والداجن والكبش الحوري وعليهم فيها
الصالغ والقارح وقوله عليه الصلاة والسلام
لنهد اللهم بارك لهم في محضها ومخضها ومـ
ذقها وابعث راعيها في الدثر وافجر له الثمد وبا
رك له في المال والولد من أقام الصلاة كان مسلما
ومن آتى الزكاة كان محسنا ومن شهد أن لا إله إلا
الله كان مخلصا لكم يا بني نهد ودائع الشرك ووضا
ئع الملك لا تلطط في الزكاة ولا تلحد في الحياة
ولا تتثاقل عن الصلوات وكتب لهم في الوظيفة
الفريضة ولكم الفارض والفريش وذو العنان الر
كوب والفلو الضبيس لا يمنع سرحكم ولا يعضد
طلحكم ولا يحبس دركم ما لم تضمروا الإماق وتأكلوا
الرباق من أقر فله الوفاء بالعهد والذمة ومن
أبى فعليه الربوة وفي كتابه صلى الله عليه وسلم
لوائل بن حجر إلى الأقيال العباهلة والأرواع
المشابيب وفيه في التيعة شاة لا مقورة الأليا
ط ولا ضناك وأنطوا الثبجة وفي السيوب الخمس

ومن زنى مم بكر فاصقعوه مائة واستوفضوه عاما
ومن زنى مم ثيب فضرجوه بالأضاميم ولا توصيم
في الدين ولا غمة في فرائض الله وكل مسكر حرام
ووائل بن حجر يترفل على الأقيال أين هذا من كتابه
لأنس في الصدقة المشهور لما كان كلام هؤلاء
على هذا الحد وبلاغتهم على هذا النمط وأكثر استعمالهم
هذه الألفاظ استعملها عليه السلام معهم ليبين
للناس ما نزل إليهم وليحدث الناس بما يعلمون وكقو
له صلى الله عليه وسلم في حديث عطية السعدي فإ
ن اليد العليا هي المنطية واليد السفلى هي المنطا
ة قال فكلمنا رسول الله صلى الله عليه وسلم
بلغتنا وقوله عليه السلام في حديث العامري
حين سأله فقال له عليه السلام سل عنك أي
سل عما شئت وهي لغة بني عامر وأما كلامه
المعتاد وفصاحته المعلومة وجوامع كلمه
وحكمه المأثورة فقد ألف الناس فيها الدواوين
وجمعت في ألفاظها ومعانيها الكتب ومنها
ما لا يوازى فصاحة ولا يبارى بلاغة كقوله
المسلمون تتكافأ دماؤهم ويسعى بذمتهم أدناهم

وهم يد على من سواهم وقوله الناس كأسنان
المشط والمرء مع من احب ولا خير في صحبة من لا يرى
لك ما ترى له والناس معادن وما هلك امرؤ عرف
قدره والمستشار مؤتمن وهو بالخيار ما لم يتكلم ورحم الله
عبدا قال خيرا فغنم او سكت فسلم وقوله اسلم
تسلم واسلم يؤتك الله اجرك مرتين وان احبكم الي
واقربكم مني مجلسا يوم القيامة احاسنكم اخلاقا
الموطؤون اكنافا الذين يالفون ويولفون وقوله
لعله كان يتكلم بما لا يعنيه ويبخل بما لا يغنيه
وقوله ذو الوجهين لا يكون عند الله وجيها ونهيه
عن قيل وقال وكثرة السؤال واضاعة المال
ومنع وهات وعقوق الامهات ووأد البنات
وقوله حيث ما كنت واتبع السيئة الحسنة تمحها
وخالق الناس بخلق حسن وخير الامور اوساطها
وقوله احبب حبيبك هونا ما عسى ان يكون بغيضك
يوما ما وقوله عليه السلام الظلم ظلمات يوم
القيامة وقوله في بعض دعائه اللهم اني اسالك
رحمة تهدي بها قلبي وتجمع بها امري وتلم بها شعثي
وتصلح بها غائبي وترفع بها شاهدي وتزكي بها عملي

وتلهم

٣٤

وتلهمني بها رشدي وترد بها الفتي وتعصمني
بها من كل سوء اللهم اني اسالك الفوز
في القضاء ونزل الشهداء وعيش السعداء والنصر
على الاعداء الى ما روته الكافة عن الكافة من
مقاماته ومحاضراته وخطبه وادعيته ومخاطباته
وعهوده مما لا خلاف انه نزل من ذلك مرتبة
لا يقاس عليها غيره وحاز فيها سبقا لا يقدر
قدره وقد جمعت من كلماته التي لم يسبق اليها ولا
قدر احد ان يفرغ في قالبه عليها كقوله الآن حمي
الوطيس ومات حتف انفه ولا يلدغ المؤمن من جحر
مرتين والسعيد من وعظ بغيره في اخواتها مما
يدرك الناظر العجب في مضمنها ويذهب به الفكر
في اداني حكمها وقد قال له اصحابه ما راينا الذي
هو افصح منك فقال وما يمنعني وانما انزل القرآن
بلساني لسان عربي مبين وقال مرة اخرى بيد اني من
قريش ونشأت في بني سعد فجمع له بذلك صلى الله
عليه وسلم قوة عارضة البادية وجزالتها ونصاعة
الفاظ الحاضرة ورونق كلامها الى التأييد
الالهي الذي مدده الوحي الذي لا يحيط بعلمه

بشر ومثلت أم معبد وصفها له حلو المنطق
فصل لا نزر ولا هذر كأن منطقه خرزات نظمن
وكان جهير الصوت حسن النغمة صلى الله عليه
وسلم .

فصل

وأما شرف نسبه صلى الله عليه وسلم وكرم بلده
ومنشئه فمما لا يحتاج إلى إقامة دليل عليه ولا
بيان مشكل ولا خفي منه فإنه صلى الله عليه وسلم
نخبة بني هاشم ونخبة قريش وصميمها وأشرف
العرب وأعزهم نفرا من قبل أبيه وأمه ومن أهل
مكة من أكرم بلاد الله على الله وعلى عباده
حدثنا قاضي القضاة حسين بن محمد الصدفي
رحمه الله نا القاضي أبو الوليد سليمان بن
خلف نا أبو ذر عبد بن أحمد نا أبو محمد السرخسي
وأبو إسحاق وأبو الهيثم قالوا نا محمد بن يوسف
نا محمد بن إسماعيل نا قتيبة بن سعيد نا يعقوب
ابن عبد الرحمن عن عمرو عن سعيد المقبري عن أبي هريرة
أن النبي صلى الله عليه وسلم قال بعثت من خير
قرون بني آدم قرنا فقرنا حتى كنت من القرن الذي كنت
منه وعن العباس قال النبي صلى الله عليه وسلم

إن الله خلق الخلق فجعلني من خيرهم من خير فريقهم
ثم تخير القبائل فجعلني من خير قبيلة ثم تخير ال
بيوت فجعلني من خير بيوتهم فأنا خيرهم نفسا
وخيرهم بيتا وعن واثلة بن الأسقع قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم إن الله اصطفى
من ولد إبراهيم إسماعيل واصطفى من ولد إسما
عيل بني كنانة واصطفى من بني كنانة قريشا
واصطفى من قريش بني هاشم واصطفاني من بني
هاشم قال الترمذي وهذا حديث صحيح وفي
حديث عن ابن عمر رواه الطبري أنه صلى الله عليه
وسلم قال إن الله تعالى اختار خلقه فاختار
منهم بني آدم ثم اختار بني آدم فاختار منهم
العرب ثم اختار العرب فاختار منهم قريشا ثم
اختار قريشا فاختار منهم بني هاشم ثم اختار بني
هاشم فاختارني منهم فلم أزل خيارا من خيار
ألا من أحب العرب فبحبي أحبهم ومن أبغض العرب
فببغضي أبغضهم وعن ابن عباس أن قريشا
كانت نورا بين يدي الله تعالى قبل أن يخلق
الخلق بألفي عام يسبح ذلك النور وتسبح

والملائكة تسبّحه فلما خلق الله آدم ألقى
ذلك النور في صلبه فقال رسول الله صلى
الله عليه وسلم فأهبطني الله إلى الأرض
في صلب آدم وجعلني في صلب نوح وقذف بي
في صلب إبراهيم ثم لم يزل الله تعالى ينقلني من
الأصلاب الكريمة والأرحام الطاهرة حتى
أخرجني من بين أبويّ لم يلتقيا على سفاح قط
وإلى هذا أشار العباس في شعره المشهور
في مدح النبي صلى الله عليه وسلم

فصل

وأما ما تدعو ضرورة الحياة إليه مما فصّلناه
فعلى ثلاثة ضروب ضرب الفضل في قلته وضرب
الفضل في كثرته وضرب تختلف الأحوال فيه
فأما التمدح والكمال بقلته اتفاقا وعلى كل
حال عادة وشريعة كالغذاء والنوم ولم تزل
العرب والحكماء تتمادح بقلتهما وتذم
بكثرتهما لأن كثرة الأكل والشرب وغلبة الشهوة
مسببة لمضار الدنيا والآخرة جالب لأدواء
الجسد وخثارة النفس وامتلاء الدماغ وقلته

دليل

دليل على القناعة وملك النفس وقمع الشهوة
مسبب للصحة وصفاء الخاطر وحدة الذهن كما أن
كثرة النوم دليل على الفسولة والضعف وعدم
الذكاء والفطنة مسبب للكسل وعادة العجز وتضييع
العمر في غير نفع وقساوة القلب وغفلته وموته
والشاهد على هذا ما يعلم ضرورة ويوجد مشاهدة
وينقل متواترا من كلام الأمم المتقدمة والحكماء
السالفين وأشعار العرب وأخبارها وصحيح الحديث
وآثار من سلف وخلف مما لا يحتاج إلى الاستشهاد
فيه اختصارا على اشتهار العلم به وكان
النبي صلى الله عليه وسلم قد أخذ من هذين الفنين
بالأقل هذا ما لا يدفع من سيرته وهو الذي أمر به وحض
عليه لا سيما بارتباط أحدهما بالآخر ثنا
أبو علي الصدفي بقراءتي عليه نا أبو الفضل الأ
صبهاني نا أبو نعيم الحافظ نا سليمان بن أحمد
نا يحيى بن إسمعيل نا عبد الله بن صالح نا معاوية
بن صالح أن يحيى بن جابر حدثه عن المقدام بن معدي
كرب أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما
ملأ ابن آدم وعاء شرا من بطنه حسب ابن آدم أكلات

بغير غلبة وإن كان لا محالة مثقلا للأعضاء
وذلك ليشربه وذلك لينقصه ولأن كثرة النوم
من كثرة الأكل والشرب قال سفيان الثوري بقلة
الطعام يملك سهر الليل وقال بعض السلف لا تأ
كلوا كثيرا فتشربوا كثيرا فترقدوا كثيرا وروي
عنه عليه السلام أنه كان أحب الطعام إليه
ما كان على ضفف أي كثرة الأيدي وعن عائشة
رضي الله عنها لم يمتلئ جوف النبي صلى الله عليه
وسلم شبعا قط وإنه كان في أهله لا يسألهم
طعاما ولا يتشهاه إن أطعموه أكل وما أطعموه
قبل وما سقوه شرب ولا يعترض هذا بحديث بريرة
وقوله ألم أر البرمة فيها لحم لأنه لعل سببا سؤاله
كونه صلى الله عليه وسلم اعتقادهم أنه لا يحل له
فأراد بيان سنته إذ رآهم لم يقدموه إليه مع
علمه أنهم لا يستأثرون عليه به فصدق عليهم
ظنه وبين لهم ما جهلوه من أمره بقوله عليه السلام
هو لها صدقة ولنا هدية وفي حكمة لقمان يا بني
إذا امتلأت المعدة نامت الفكرة وخرست الحكمة
وقعدت الأعضاء عن العبادة وقال سحنون

لا يصلح

لا يصلح العلم لمن يأكل حتى يشبع وفي صحيح البخاري
قوله عليه السلام أما أنا فلا آكل متكئا
والاتكاء هو التمكن للأكل والتقعدد في الجلوس
له كالمتربع وشبهه من تمكن الجلسات التي يعتمد
عليها الجالس على ما تحته والجالس على هذه
الهيئة يستدعي الأكل ويستكثر منه والنبي صلى
الله عليه وسلم إنما كان جلوسه للأكل جلوس
المستوفز مقعيا ويقول إنما أنا عبد آكل كما يأكل
العبد وأجلس كما يجلس العبد وليس معنى الحديث
في الاتكاء الميل على شق عند المحققين وكذلك نو
مه صلى الله عليه وسلم كان قليلا شهدت بذلك
الأخبار الصحيحة ومع ذلك فقد قال إن عيني
تنامان ولا ينام قلبي وكان نومه على جانبه
الأيمن استظهارا على قلة النوم لأنه على الجانب
الأيسر أهنأ له والقلب وما يتعلق به من الأعضاء
الباطنة حينئذ تميل إلى الجانب الأيسر فيستثقل
على ذلك الاستثقال فيه والطول وإذا نام
النائم على الجانب الأيمن تعلق القلب وقلق فلا
يسرع الإفاقة ولم يغمره الاستغراق

فصل

والنوع الثالث ما يتفق التمدح بكثرته والفخر بوفوره
كالنكاح والجاه اما النكاح فمتفق فيه شرعا وعادة
فإنه دليل الكمال وصحة الذكورية ولم يزل التفاخر
بكثرته عادة معروفة والتمادح به سيرة ماضية
وأما في الشرع فسنة مأثورة وقد قال ابن عباس
أفضل هذه الأمة أكثرها نساء مشيرا إليه صلى
الله عليه وسلم وقد قال عليه السلام تناكحوا
فإني مباه بكم الأمم يوم القيمة ونهى عن التبتل
مع ما فيه من قمع الشهوة وغض البصر اللذين نبه
عليهما صلى الله عليه وسلم بقوله من كان ذا
طول فليتزوج فإنه أغض للبصر وأحصن للفرج
حتى لم يره العلماء مما يقدح في الزهد قال سهل
ابن عبد الله قد حببن إلى سيد المرسلين فكيف نزهد
فيهن ونحوه لابن عيينة وقد كان زهاد الصحابة
كثيري الزوجات والسراري كثيري النكاح وحكي في
ذلك عن علي والحسن وابن عمر وغيرهم غير شيء
وقد كره غير واحد أن يلقى الله عزبا فإن قلت
كيف يكون النكاح وكثرته من الفضائل وهذا يحيى

ابن

٢٩

ابن زكرياء قد أثنى الله عليه أنه كان حصورا ف
كيف يثني الله عليه بالعجز عما تعده فضيلة
وهذا عيسى عليه السلام تبتل من النساء ولو كان
كما قررته لنكح فاعلم أن ثناء الله على
يحيى بأنه حصور ليس كما قال بعضهم إنه كان
هيوبا أو لا ذكر له بل أنكر هذا حذاق المفسرين
ونقاد العلماء وقالوا هذه نقيصة وعيب ولا يليق
بالأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم وإنما
معناه أنه معصوم من الذنوب أي لا يأتيها كأنه
حصر عنها وقيل مانعا نفسه من الشهوات وقيل
ليست له شهوة في النساء فقد بان لك
من هذا أن عدم القدرة على النكاح نقص وإنما الفضل
في كونها موجودة ثم قمعها إما بمجاهدة نفس
كعيسى أو بكفاية من الله كيحيى فضيلة زائدة
لكونها مشغلة في كثير من الأوقات حاطة إلى
الدنيا ثم هي في حق من أقدر عليها وملكها وقام
بالواجب فيها ولم تشغله عن ربه درجة عليا
وهي درجة نبينا صلى الله عليه وسلم الذي لم تشغله
كثرتهن عن عبادة ربه بل زادته ذلك عبادة لتحصينهن

وقيامه بحقوقهن واكتسابه لهن وهدايته اياهن
بل صرح انها ليست من حظوظ دنياه هو وان
كانت من حظوظ دنيا غيره فقال حبب الي من
دنياكم فقال ان حبه لما ذكر من النساء والطيب
اللذين هما من دنيا غيره واستعماله لذلك ليس لدنيا
ه بل لآخرته للفوائد التي ذكرناها في التزويج ولـ
لقاء الملائكة في الطيب ولانه ايضا مما يحض
على الجماع ويعين عليه ويحرك اسبابه وكان حبه
لهاتين الخصلتين لاجل غيره وقمع شهوته وكان
حبه الحقيقي المختص بذاته في مشاهدة جبروت
مولاه ومناجاته ولذلك ميز بين الحبين وفصل
بين الحالين فقال وجعلت قرة عيني في الصلاة
فقد ساوى صلى الله عليه وسلم يحيى وعيسى في
كفاية فتنتهن وزاد فضيلة بالقيام بهن وكان
عليه السلام ممن اقدر على القوة في هذا واعطي
الكثير منه ولهذا ابيح له من عدد الحرائر ما لم يبح لغيره
وقد روينا عن انس انه صلى الله عليه وسلم كان
يدور على نسائه في الساعة من الليل والنهار وهن
احدى عشرة قال انس وكنا نتحدث انه اعطي قوة ثلا

ثين

ثين خرجه النسائي وروي نحوه عن ابي رافع وعن
طاوس اعطي صلى الله عليه وسلم قوة اربعين
رجلا في الجماع ومثله عن صفوان بن سليم وقالت
سلمى مولاته طاف النبي صلى الله عليه وسلم ليلة
على نسائه التسع وتطهر من كل واحدة منهن قبل
ان ياتي الاخرى وقال هذا اطيب واطهر وقد قال
سليمان عليه السلام لاطوفن الليلة على ماية
امراة او تسع وتسعين وانه فعل ذلك قال ابن
عباس كان في ظهر سليمان عليه السلام ماء ماية رجل
وكان له ثلاثمائة امراة وثلاثمائة سرية وحكى
النقاش وغيره سبعمائة امراة وثلاثمائة سرية
وقد كان لداود عليه السلام على زهده واكله
من عمل يده تسع وتسعون امراة وتمت بزوج اوريا
ماية وقد نبه على ذلك في الكتاب العزيز
بقوله تعالى ان هذا اخي له تسع وتسعون نعجة وفي
حديث انس عنه عليه السلام فضلت على الناس
باربع بالسخاء والشجاعة وكثرة الجماع وقوة
البطش واما الجاه فمحمود عند العقلاء عادة
وبقدر جاهه عظمه في القلوب وقد قال تعالى في صفة

عيسى عليه السلام وجيها في الدنيا والآخرة
ومن المقربين والمراد كثرة فيما يرجع لبعض
الناس لغنى الآخرة فلذلك سددته مرة قد
ومدح ضده ووردت في الشرع مدح الخمول وذم العلو
في الأرض وكان النبي صلى الله عليه وسلم قد
رزق من الحشمة والمكانة في القلوب والعظمة قبل
النبوءة عند الجاهلية وبعدها وهم يكذبونه ويؤ
ذون أصحابه ويقصدون إذايته في نفسه خفية حتى
إذا اجتمعوا معه اغتنموا أمره وقضوا حاجته وأجب
روه في ذلك الشأن مع وجود سيادة بعضهم وقد كان يشفق
ويعجب من رؤيته من لم يره كما روي عن قيلة أنها
لما رأته أرعدت من الفرق فقال يا مسكينة عليك
السكينة وفي حديث ابن مسعود أن رجلا قام
بين يديه فأرعد فقال له عليه الصلاة والسلام
هون عليك فإني لست بملك الحديث وإنما عظموه
فوله بالنبوءة وكثير ممن تقدمه بالرسالة والإمامة
وتشهد بالعكس ضعفاؤه والكرامة في الدنيا فإن سمو
مبلغ الشرافة ثم سموه في الآخرة أكثر والدوام وعلى
معنى هذا الفصل تضمنه هذا القسم بأسره

فصل

فصل

وأما الغنى بالمال فمعظم ما تختلف فيه
العقلاء كان في التمدح به والتعاظم بسببه
والتفضيل لأجله لكثرة المال وصاحبه على
الجملة معظم عند العامة لاعتقادها توسل
صله به الى حاجاته وتمكن أغراضه بسببه وإلا
فليس فضيلة في نفسه فمتى كان المال بهذه الصو
رة وصاحبه منفقا له في مهماته ومهمات من
اعتراه وأمله وتصريفه في مواضعه مشتريا به
المعالي والثناء الحسن والمنزلة في القلوب كا
ن فضيلة في صاحبه عند أهل الدنيا وإذا صر
فه في وجوه البر وأنفقه في سبل الخير وقصد
بذلك الله تعالى والدار الآخرة كان فضيلة
عند الكل بكل حال ومتى كان صاحبه ممسكا
له غير موجهه وجوهه حريصا على جمعه عاد
كثره كالعدم وكان منقصة في صاحبه ولم يقف
به على جدد السلامة بل أوقعه في هوة رذيلة
البخل ومذمة النذالة فإذا التمدح بالمال
وفضيلته عند مفضليه ليست لنفسه وإنما

وإنما هو للتوصل به الى غيره ومن يعد به متمتع
فلأنه يجامعه أنه لم ينفعه من أضعفه وبكلا وجهيه
وبكلا وجهيه غني فليس بالحقيقة وبكلا غني بالمعنى
وبكلا محترم عند أهل الرأي العقلاء بل هو مفهم أبترا
غنى وأصل الى غرض أغراضه أنه ما يسره من الما
ل الموصل للمقام فيتسلط عليه فلا يشبه خازن
مال غيره وكم مال له فكأنه ليس بيده منه
شيء والمنفق عنده ولو تحصيله من أبين المال
وإن لم يبق بيده من المال شيء فانظر سيرة
نبينا صلى الله عليه وسلم وخلفائه في المال تجري
فرادى وتوزيع الأرض ومنا نحو البلاد وأحلت له
الغنائم ولم تحل لنبي قبله وفتح عليه في حيا
ته صلى الله عليه وسلم بلاد الحجاز واليمن
وجميع جزيرة العرب وما دانا الشام والعراق
وأعطي له وجلبت إليه من أخماسها وجزيتها
وصدقاتها ما لا يجبى للملوك إلا بعضه وهادته
جماعة من ملوك الأقاليم فما استأثر بشيء منه
ولا أمسك منه درهما بل صرفه مصارفه وأغنى
به غيره وقوى به المسلمين وقال ما يسرني أن لي

أحدا

41

أحدا ذهبا يبيت عندي منه دينار إلا دينارا
أرصده لدين وأتته مرة دنانير فقسمها
وبقيت منها بقية فدفعها لبعض نسائه فلم
يأخذه نوم حتى قام وقسمها وقال الآن استر
حت ومات ودرعه مرهونة في نفقة عيا
له واقتصر من نفقته وملبسه ومسكنه على قدر
ضرورته إليه وزهد فيما سواه فكان يلبس
ما وجده فيلبس في الغالب الشملة والكساء
الخشن والبرد الغليظ ويقسم على من حضره
أقبية الديباج المخوصة بالذهب ويرفع لمن لم
يحضر إذ المباهاة في الملابس والتزين بها
ليست من خصال الشرف والجلالة وهي من سمات
النساء والمحمود منها نقاوة الثوب والتوسط
في جنسه وكونه لبس مثله غير مسقط لمروءة
جنسه مما لا يؤدي إلى الشهرة في الطرفين
وقد ذم الشرع ذلك وغاية الفخر فيه في العا
دة عند الناس إنما يعود إلى الفخر بكثرة الموج
ود ووفور الحال وكذلك التباهي بجودة
المسكن وسعة المنزل وتكثير آلاته وخدمه

ومن كرم بلاده ومن قبلها الارض وحبي اليه ما
فيها فترك ذلك زهدا وتنزها فقد حازها بين
الفضيلة المالية ومالك الفخر بهذه الخصلة ان
كانت فضيلة زائدة عليها في الفخر ومعرق في
المدح باضرابه عنها وزهده في فانيها وبذلها
في مظانها. فصل
واما الخصال المكتسبة من الاخلاق الحميدة
والآداب الشريفة التي اتفق جميع العقلاء
على تفضيل صاحبها وتعظيم المتصف بالخلق
الواحد منها فضلا عما فوقه واثنى الشرع على
جميعها وامر بها ووعد بالسعادة الدائمة
للمتخلق بها ووصف بعضها بانه من اجزاء النبو
ة وهي المسماة بحسن الخلق وهو الاعتدال
في قوى النفس واوصافها والتوسط فيها
دون الميل الى منحرف اطرافها فجميعها قد كانت
خلق نبينا صلى الله عليه وسلم على الانتها
ء في كمالها والاعتدال في غايتها حتى اثنى الله
تعالى بذلك فقال وانك لعلى خلق عظيم
قالت عائشة رضي الله عنها كان خلقه

القرآن

القرآن يرضى برضاه ويسخط بسخطه وقال صلى
الله عليه وسلم بعثت لاتمم مكارم الاخلا
ق وقال انس رضي الله عنه كان رسول الله
صلى الله عليه وسلم احسن الناس خلقا وعن
علي بن ابي طالب رضي الله عنه مثله وكان فيما
ذكره المحققون مجبولا عليها في اصل خلقته واو
ل فطرته لم تحصل له باكتساب ولا رياضة الا
بجود الهي وخصوصية ربانية وهكذا لسائر
الانبياء ومن طالع سيرهم منذ صباهم الى
مبعثهم حقق ذلك كما عرف من حال عيسى ومو
سى ويحيى وسليمان وغيرهم عليهم السلام بل
غرزت فيهم هذه الاخلاق في الجبلة واودعوا
العلم والحكمة في الفطرة قال الله تعالى وءا
تيناه الحكم صبيا قال المفسرون اعطى الله يحيى
العلم بكتاب الله في حال صباه وقال معمر كان
ابن سنتين او ثلاث فقال له الصبيان لم لا تلعب
فقال اللعب خلقنا وقيل في قوله تعالى مصدقا
بكلمة من الله صدق يحيى بعيسى وهو ابن ثلاث
سنين فشهد له انه كلمة الله وروحه وقيل صدقه

وهو في بطن أمه وكانت أم يحيى تقول لمريم إني
أجد ما في بطني يسجد لما في بطنك تحية له ومن ذلك
الله تعالى على كلام عيسى كلامه في المهد وكونه تكلم إبان
ولادته بقوله لها ألا تحزني على مراده وقول من تحتها وعلى
قول من قال إن المنادي عيسى عليه السلام ونص
على كلامه في مهده فقال إني عبد الله آتاني
الكتاب وجعلني نبيا وقال تعالى ففهمناها
سليمان وكلا آتينا حكما وعلما وقد ذكر من حكم
سليمان وهو صبي وهو يلعب في قصة المرجومة
وفي قصة الصبي ما اقتدى به داود أبوه وحكى
الطبري أن عمره كان حين أوتي الملك اثني عشر
عاما وكذلك قصة موسى مع فرعون وأخذه
بلحيته وهو طفل وقال المفسرون في قوله تعالى
ولقد آتينا إبراهيم رشده من قبل أي هديناه
صغيرا قاله مجاهد وغيره وقال ابن عطاء
اصطفاه قبل بدو خلقه وقال بعضهم لما ولد
إبراهيم عليه السلام بعث الله إليه ملكا يأمره
من عند الله أن يعرفه بقلبه ويذكره بلسانه فقال
قد فعلت ولم يقل أفعل فذلك رشده وقيل إن

إلقاء

إلقاء إبراهيم في النار ومحنته كانت وهو ابن
ست عشرة سنة وأن ابتلاء إسحاق بالذبح
كان وهو ابن سبع سنين وأن استدلال إبراهيم
بالكوكب والقمر والشمس كان وهو ابن خمسة عشر
شهرا وقيل أوحى الله تعالى إلى يوسف وهو
صبي عندما هم إخوته بإلقائه في الجب يقول
تعالى وأوحينا إليه لتنبئنهم بأمرهم هذا الآية
إلى غير ذلك مما ذكر من أخبارهم عنهم وقد حكى
أهل التفسير أن آمنة بنت وهب أخبرت أن نبينا
محمدا صلى الله عليه وسلم ولد حين ولد باسطا
يديه إلى الأرض رافعا رأسه إلى السماء وقال في
حديثه لما نشأت بغضت إلي الأوثان وبغض
إلي الشعر ولم أهم بشيء مما كانت الجاهلية
تفعله إلا مرتين فعصمني الله منهما ثم لم أعد
ثم يتمكن الأمر منهم وتترادف نفحات الله
عليهم وتشرق أنوار المعارف في قلوبهم حتى
يصلوا الغاية ويبلغوا باصطفاء الله تعالى
لهم بالنبوة في تحصيل هذه الخصال الشريفة
النهاية دون ممارسة ولا رياضة قال الله

تعالى ومنها بلغ أشده واستوى آتيناه حكما
وعلما وقد نجد غير نبي يطبع على بعض هذه الأخلاق دون
جميعها ويولد عليها فيسهل عليه اكتساب تمامها
عناية من الله تعالى كما نشاهد من خلقة بعض
الصبيان على حسن السمت أو الشهامة أو صدق
اللسان أو السماحة وكما نجد بعضهم على ضدها فبا
لاكتساب يكمل ناقصها وبالرياضة والمجاهدة
يستجلب معدومها ويعتدل منحرفها وباختلاف هذا
ين الحالين يتفاوت الناس فيها وكل ميسر لما
خلق له ولهذا ما قد اختلف السلف هل هذا الخلق
جبلة أو مكتسبة فحكى الطبري عن بعض السلف أن الخلق
الحسن جبلة وغريزة في العبد وحكاه عن عبد الله بن مسعود
والحسن وبه قال هو والصواب ما أصلناه وقد روى سعد
عن النبي عليه السلام قال كل الخلال يطبع عليها
المؤمن إلا الخيانة والكذب وقال عمر بن الخطاب رضي
الله عنه في حديثه والجرأة والجبن غرائز يضعها الله
حيث يشاء وهذه الأخلاق المحمودة والخصال الجميلة
كثيرة ولكنا نذكر أصولها ونشير إلى جميعها ونحقق
وصفه عليه السلام بها إن شاء الله تعالى

فصل

فصل

أما أصل فروعها وعنصر ينابيعها ونقطة
دائرتها فالعقل الذي منه ينبعث العلم والمعر
فة ويتفرع عن هذا ثقوب الرأي وجودة الفطنة
والإصابة وصدق الظن والنظر للعواقب
ومصالح النفس ومجاهدة الشهوة وحسن السيا
سة والتدبير واقتناء الفضائل وتجنب الرذائل
وقد علمنا مكانه منه صلى الله عليه وسلم وبلو
غه منه ومن العلم الغاية التي لم يبلغها بشر
سواه وإن جلالة محله من ذلك ومما تفرع منه
متحقق عند من تتبع مجاري أحواله واطراد سيره
وحكم حديثه وعلمه بما في التوراة والإنجيل والكتب
المنزلة وحكم الحكماء وسير الأمم الخالية وأيا
مها وضرب الأمثال وسياسات الأنام وتقر
ير الشرائع وتأصيل الآداب النفيسة والشيم
الحميدة إلى فنون العلوم التي اتخذ أهلها كلا
مه عليه السلام فيها قدوة وإشاراته حجة كالعبا
رة والطب والحساب والفرائض والنسب وغير
ذلك مما سنبينه في معجزاته عليه السلام

دون تعليم ولا مدارسة ولا مطالعة كتب من
تقدم ولا الجلوس الى علمائهم بل نبي امي لم
يعرف بشيء من ذلك حتى شرح الله صدره وابان
امره وعلمه واقراه يعلم ذلك بالمطالعة والبحث
عن حاله ضرورة وبالبرهان القاطع على نبوته نظرا
فلا نطول بسرد الاقاصيص وآحاد القضايا
اذ مجموعها ما لا ياخذه حصر ولا يحيط به حفظ
جامع ولحسب عقله كانت معارفه عليه السلام
الى سائر ما علمه الله واطلعه عليه من علم ما
يكون وما كان وعجائب قدرته وعظيم ملكوته
قال الله تعالى وعلمك ما لم تكن تعلم وكان فضل
الله عليك عظيما حارت العقول في تقدير فضله
وخرست الالسن دون وصف يحيط بذلك او
ينتهي اليه

فصل

واما الحلم والاحتمال والعفو مع القدرة والصبر
على ما يكره وبين هذه الالقاب فرق فان الحلم
حالة توقر وثبات عند الاسباب المحركات والا
حتمال حبس النفس عند الالام والمؤذيات ومثلها
الصبر ومعانيها متقاربة واما العفو فهو ترك

المؤاخذة

المؤاخذة وهذا كله مما ادب الله تعالى به نبيه
صلى الله عليه وسلم فقال خذ العفو وامر
بالعرف الآية روي ان النبي صلى الله عليه
وسلم لما نزلت هذه الآية سال جبريل عن
تاويلها فقال له حتى اسال العالم ثم ذهب
فاتاه فقال يا محمد ان الله يامرك ان تصل
من قطعك وتعطي من حرمك وتعفو عمن ظلمك
وقال له واصبر على ما اصابك الآية وقال تعالى
فاصبر كما صبر اولو العزم من الرسل وقال وليعفوا
وليصفحوا الآية وقال ولمن صبر وغفر ان ذلك
لمن عزم الامور ولا خفاء بما يؤثر من حلمه واحتماله
وان كل حليم قد عرفت منه زلة وحفظت
عنه هفوة وهو صلى الله عليه وسلم لا يزيد
مع كثرة الاذى الا صبرا وعلى اسراف الجاهل
الا حلما حدثنا القاضي ابو عبد الله
محمد بن علي التغلبي وغيره قالوا نا محمد بن عتاب
نا ابو بكر بن واقد القاضي وغيره نا ابو عيسى نا عبيد
الله نا يحيى بن يحيى نا مالك عن ابن شهاب عن عروة
عن عائشة رضي الله عنها قالت ما خير رسول الله

صلى الله عليه وسلم في أمرين قط إلا اختار
أيسرهما ما لم يكن إثما فإن كان إثما كان أبعد
الناس منه وما انتقم رسول الله صلى الله عليه
وسلم لنفسه إلا أن تنتهك حرمة الله فينتقم لله
بها وروي أن النبي صلى الله عليه وسلم لما
كسرت رباعيته وشج وجهه يوم أحد شق ذلك
على أصحابه شديدا وقالوا لو دعوت عليهم فقال
رب لا تذر على الأرض الآية ولو دعوت علينا مثلها
لهلكنا من عند آخرنا فلقد وطئ ظهرك وأدمي
وجهك وكسرت رباعيتك فأبيت أن تقول إلا
خيرا فقلت اللهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون
قال القاضي أبو الفضل رحمه الله تعالى انظر ما في
هذا القول من جماع الفضل ودرجات الإحسان
وحسن الخلق وكرم النفس وغاية الصبر والحلم
إذ لم يقتصر صلى الله عليه وسلم على السكوت عنهم
حتى عفا عنهم ثم أشفق عليهم ورحمهم ودعا وشفع
لهم فقال اللهم اغفر أو اهد ثم أظهر سبب
الشفقة والرحمة بقوله لقومي ثم اعتذر عنهم
بجهلهم فقال فإنهم لا يعلمون ولما قال له الرجل

اعدل

اعدل فإن هذه قسمة ما أريد بها وجه الله
تعالى لم يزده في جوابه أن بين له ما جهله و
وعظ نفسه وذكرها بما قال له فقال ويحك
فمن يعدل إن لم أعدل خبت وخسرت إن لم أعدل
ونهى من أراد من أصحابه قتله ولما تصدى
له غورث بن الحارث ليفتك به ورسول الله صلى
الله عليه وسلم منتبذ تحت شجرة وحده
قائلا والناس قائلون في غزاة فلم ينتبه رسول
الله صلى الله عليه وسلم إلا وهو قائم والسيف
صلتا في يده فقال من يمنعك مني فقال الله
فسقط السيف من يده فأخذه النبي صلى الله
عليه وسلم وقال من يمنعك مني فقال كن خير
آخذ فتركه وعفا عنه فجاء إلى قومه فقال
جئتكم من عند خير الناس ومن عظيم خبره في
العفو عفوه عن اليهودية التي سمته في الشاة
بعد اعترافها على الصحيح من الرواية وأنه لم يؤاخذ
لبيد بن الأعصم إذ سحره وقد أعلم به وأوحي إليه
بشرح أمره ولا عتب عليه فضلا عن معاقبته وكذ
لك لم يؤاخذ عبد الله بن أبي وأشباهه

وانما غفير بعضهم ما نقل عنهم من جهته قولا
وفعلا بل قال لمن اشار بقتل بعضهم لا يتحدث
ان محمدا يقتل اصحابه وعن انس كنت مع
النبي صلى الله عليه وسلم وعليه برد نجراني غليظ
الحاشية فجبذه اعرابي بردائه جبذة شديدة حتى
اثرت حاشية البرد في صفحة عاتقه ثم قال يا محمد
احمل لي على بعيري هذين من مال الله الذي عندك
فانك لا تحمل لي من مالك ولا من مال ابيك فسكت
النبي صلى الله عليه وسلم ثم قال المال مال الله
وانا عبده ثم قال ويقاد منك يا اعرابي ما فعلت بي
قال لا قال لم قال لانك لا تكافئ بالسيئة السيئة
فضحك النبي صلى الله عليه وسلم ثم امر ان يحمل له على
بعير شعير وعلى الآخر تمر قالت عائشة رضي
الله عنها ما رأيت رسول الله صلى الله عليه
وسلم منتصرا من مظلمة ظلمها قط ما لم تكن حرمة من
محارم الله تعالى وما ضرب بيده شيئا قط الا ان يجاهد
في سبيل الله وما ضرب خادما ولا امرأة وجيء
اليه برجل فقيل له هذا اراد ان يقتلك فقال له
النبي صلى الله عليه وسلم لن تراع لن تراع ولو اردت

ذالك

ذلك لم تسلط علي وجاءه زيد بن سعنة قبل
اسلامه يتقاضاه دينا عليه فجبذ ثوبه عن منكبه
واخذ بمجامع ثيابه واغلظ له ثم قال انكم يا بني
عبد المطلب مطل فانتهره عمر وشدد له في القول
والنبي صلى الله عليه وسلم يتبسم فقال رسول
الله صلى الله عليه وسلم انا وهو كنا الى غير هذا
احوج منك يا عمر تأمرني بحسن القضاء وتأمره بحسن
التقاضي ثم قال لقد بقي من اجله ثلاث وامر عمر
يقضيه ماله ويزيده عشرين صاعا لما روعه فكان
سبب اسلامه وذلك انه كان يقول ما بقي من
علامات النبوة شيء الا وقد عرفتها في محمد
الا اثنتين لم اخبرهما يسبق حلمه جهله ولا تزيده
شدة الجهل عليه الا حلما فاختبرته بهذا فوجدته
كما وصف والحديث عن حلمه عليه السلام وصبره
وعفوه عند المقدرة اكثر من ان نأتي عليه وحسبك
ما ذكرناه مما في الصحيح والمصنفات الثابتة مما
بلغ متواترا مبلغ اليقين من صبره على مقاساة
قريش واذى الجاهلية ومصابرة الشدائد
الصعبة معهم الى ان اظفره الله تعالى عليهم وحكمه

فيهم وهم لا يشكون في استئصال شأفتهم وإبادة
خضرائهم فما زاد على أن عفا وصفح وقال ما تقولون
إني فاعل بكم قالوا خيرا أخ كريم وابن أخ كريم
فقال اذهبوا فأنتم الطلقاء وقال أنس رضي
الله عنه هبط ثمانون رجلا من التنعيم صلاة الصبح
ليقتلوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخذوا
فأعتقهم رسول الله فأنزل الله تعالى وهو الذي كف
أيديهم عنكم الآية وقال لأبي سفيان وقد سيق إليه
بعد أن جلب إليه الأحزاب وقتل عمه وأصحابه
ومثل بهم فعفا عنه ولاطفه في القول وقال
ويحك يا أبا سفيان ألم يأن لك أن تعلم أن لا إله
إلا الله فقال بأبي أنت وأمي ما أحلمك وأوصلك
وأكرمك وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم
أبعد الناس غضبا وأسرعهم رضا صلى الله عليه
وسلم . فصل
وأما الجود والكرم والسخاء والسماحة ومعانيها
متقاربة وقد فرق بعضهم بينها بفروق فجعلوا
الكرم الإنفاق بطيب النفس فيما يعظم خطره
ونفعه وسموه أيضا حرية وهو ضد النذالة والسماحة

التجافي

التجافي عما يستحقه المرء عند غيره بطيب نفس وهو
ضد الشكاسة والسخاء سهولة الإنفاق وتجنب
اكتساب ما لا يحمد وهو الجود وهو ضد التقتير
فكان عليه الصلاة والسلام لا يوازى في هذه الأخلاق
الكريمة ولا يبارى بهذا وصفه كل من عرفه
حدثنا القاضي الشهيد أبو علي الصدفي رحمه الله
أخبرنا القاضي أبو الوليد الباجي نا أبو ذر الهروي نا
نا أبو الهيثم الكشميهني وأبو محمد السرخسي وأبو
إسحاق البلخي قالوا أخبرنا أبو عبد الله الفربري
نا البخاري نا محمد بن كثير نا سفيان عن ابن المنكدر
قال سمعت جابر بن عبد الله يقول ما سئل النبي
صلى الله عليه وسلم عن شيء فقال لا وعن أنس
وسهل بن سعد مثله وقال ابن عباس كان عليه
الصلاة والسلام أجود الناس بالخير وأجود ما
كان في شهر رمضان وكان إذا لقيه جبريل عليه
السلام أجود بالخير من الريح المرسلة وعن أنس
أن رجلا سأله فأعطاه غنما بين جبلين فرجع
إلى بلده وقال أسلموا فإن محمدا يعطي عطاء من
لا يخشى فاقة وأعطى غير واحد مائة من الإبل وأعطى

صفوان مائة ثم مائة ثم مائة وهذه كانت حاله
صلى الله عليه وسلم قبل أن يبعث وقد قال له ورقة
ابن نوفل إنك تحمل الكل وتكسب المعدوم ورد على
هوازن سباياها وكانوا ستة آلاف وأعطى
العباس من الذهب ما لم يطق حمله وحمل إليه
تسعون ألف درهم فوضعت على حصير ثم قام إليها
يقسمها فما رد سائلا حتى فرغ منها وجاءه رجل
فسأله فقال ما عندي شيء ولكن ابتع علي فإذا
جاءنا شيء قضيناه فقال له عمر ما كلفك الله ما لا
تقدر عليه فكره النبي صلى الله عليه وسلم ذلك فقال
رجل من الأنصار يا رسول الله أنفق ولا تخف من
ذي العرش إقلالا فتبسم النبي صلى الله عليه وسلم
وعرف البشر في وجهه وقال بهذا أمرت ذكره
الترمذي وذكر عن معوذ بن عفراء أتيت النبي صلى
الله عليه وسلم بقناع من رطب يريد طبقا وأجر
زغب يريد قثاء فأعطاني ملء كفه حليا وذهبا
قال أنس كان النبي صلى الله عليه وسلم لا يد
خر شيئا لغد وعن أبي هريرة أتى رجل النبي صلى الله
عليه وسلم يسأله فاستسلف له رسول الله صلى

الله

الله عليه وسلم نصف وسق فجاء الرجل يتقاضاه
فأعطاه وسقا وقال نصفه قضاء ونصفه نائل
والخبر بجوده وكرمه صلى الله عليه وسلم كثير

فصل

وأما الشجاعة والنجدة فالشجاعة فضيلة قوة الغضب
وانقيادها للعقل والنجدة ثقة النفس عند استرسا
لها إلى الموت حيث يحمد فعلها دون خوف وكان النبي
صلى الله عليه وسلم منهما بالمكان الذي لا يجهل
قد حضر المواقف الصعبة وفر الكماة والأبطال
عنه غير مرة وهو صلى الله عليه وسلم ثابت لا يبرح
ومقبل لا يدبر ولا يتزحزح وما شجاع إلا وقد
أحصيت له فرة وحفظت عنه جولة سواه حدثنا
أبو علي الجياني فيما كتب إلي قال نا القاضي سراج
نا أبو محمد الأصيلي نا أبو زيد الفقيه نا محمد بن
يوسف نا محمد بن إسماعيل نا ابن بشار نا غندر نا
شعبة عن أبي إسحاق سمع البراء وسأله رجل أفررتم
يوم حنين عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
نعم لكن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يفر
ثم قال لقد رأيته على بغلته البيضاء وأبو سفيان

وآخذ بلجامها والنبي صلى الله عليه وسلم يقول
أنا النبي لا كذب وزاد غيره أنا ابن عبد المطلب
قيل فما رؤي يومئذ أحد كان أشد منه وقال غيره
نزل النبي صلى الله عليه وسلم عن بغلته وذكر
مسلم وعن العباس قال فلما التقى المسلمون
والكفار ولى المسلمون مدبرين فطفق رسول الله
صلى الله عليه وسلم يركض بغلته نحو الكفار وأنا
آخذ بلجامها أكفها إرادة أن لا تسرع وأبو سفيان
آخذ بركابه ثم نادى يا للمسلمين الحديث وقيل كان
رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا غضب ولا
يغضب إلا لله لم يقم لغضبه شيء وقال ابن عمر ما
رأيت أشجع ولا أنجد ولا أجود ولا أرضى من رسول
الله صلى الله عليه وسلم وقال علي رضي الله
عنه إنا كنا إذا حمي البأس ويروى اشتد البأس
واحمرت الحدق اتقينا برسول الله صلى الله عليه
وسلم فما يكون أحد أقرب إلى العدو منه ولقد رأيتني
يوم بدر ونحن نلوذ بالنبي صلى الله عليه وسلم وهو
أقربنا إلى العدو وكان من أشد الناس يومئذ بأسا
وقيل كان الشجاع هو الذي يقرب منه صلى الله عليه وسلم

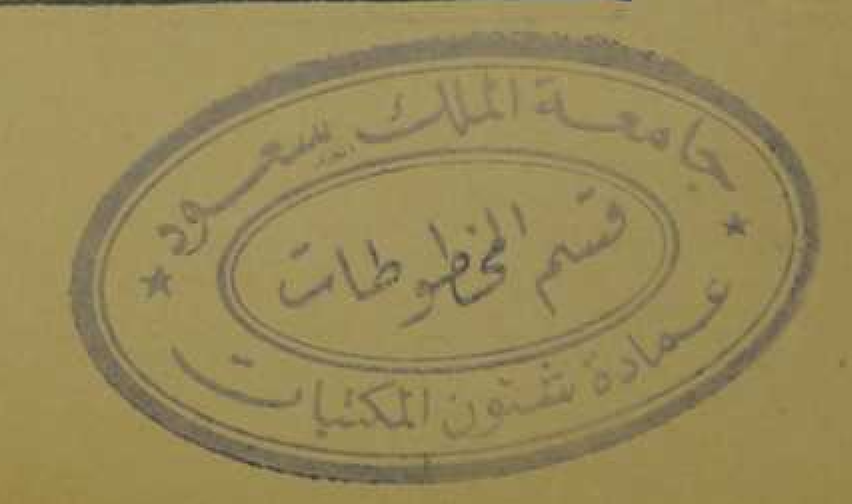
اذا

إذا دنا العدو لقربه منه وعن أنس قال كان النبي
صلى الله عليه وسلم أحسن الناس وأشجع الناس وأجود
الناس لقد فزع أهل المدينة ليلة فانطلق ناس
قبل الصوت فتلقاهم رسول الله صلى الله عليه
وسلم راجعا قد سبقهم إلى الصوت واستبرأ الخبر
على فرس لأبي طلحة عري والسيف في عنقه وهو يقول
لن تراعوا وقال عمران بن حصين ما لقي رسول الله
صلى الله عليه وسلم كتيبة إلا كان أول من يضرب
ولما رآه أبي بن خلف يوم أحد وهو يقول أين
محمد لا نجوت إن نجا وقد كان يقول للنبي صلى الله
عليه وسلم حين افتدى يوم بدر عندي فرس أعلفها
كل يوم فرقا من ذرة أقتلك عليها فقال النبي صلى
الله عليه وسلم أنا أقتلك إن شاء الله تعالى فلما
رآه يوم أحد شد أبي على فرسه على رسول الله صلى
الله عليه وسلم فاعترضه رجال من المسلمين فقال
النبي صلى الله عليه وسلم هكذا أي خلوا طريقه
وتناول الحربة من الحارث بن الصمة فانتفض بها
انتفاضة تطايروا عنه تطاير الشعراء عن ظهر البعير
إذا انتفض ثم استقبله النبي صلى الله عليه وسلم

فطعنه في عنقه طعنة تدأدأ منها عن فرسه
مرارا وقيل كسر ضلعا من أضلاعه فرجع إلى قريش
يقول قتلني محمد وهم يقولون لا بأس بك فقال لو
كان ما بي بجميع الناس لقتلهم أليس قد قال أنا
أقتلك والله لو بصق علي لقتلني فمات بسرف
في قفولهم إلى مكة • **فصل**

وأما الحياء والإغضاء فالحياء رقة تعتري وجه
الإنسان عند فعل ما يتوقع كراهته أو ما يكون
تركه خيرا من فعله والإغضاء التغافل عما يكره
الإنسان بطبيعته **وكان** النبي صلى الله
عليه وسلم أشد الناس حياء وأكثرهم عن العورات
إغضاء قال الله تعالى إن ذلكم كان يؤذي النبي
فيستحيي منكم الآية **حدثنا** أبو محمد بن عتاب رحمه
الله بقراءتي عليه **أخبرنا** أبو القاسم حاتم بن محمد
نا أبو الحسن القابسي نا أبو زيد المروزي نا محمد
ابن يوسف نا محمد بن إسماعيل نا عبدان نا عبد الله
نا شعبة عن قتادة سمعت عبد الله مولى أنس
عن أبي سعيد الخدري كان رسول الله صلى الله عليه
وسلم أشد الناس حياء من العذراء في خدرها وكان

إذا كره



كره شيئا عرفناه في وجهه وكان صلى الله
عليه وسلم لطيف البشرة رقيق الظاهر لا يشافه
أحدا بما يكرهه حياء وكرم نفس وعن
عائشة رضي الله عنها كان رسول الله صلى
الله عليه وسلم إذا بلغه عن أحد ما يكرهه
لم يقل ما بال فلان يقول كذا وكذا ولكن يقول
ما بال أقوام يصنعون أو يقولون كذا ينهى عنه
ولا يسمي فاعله **وروى** أنس أنه دخل عليه
رجل به أثر صفرة فلم يقل له شيئا وكان لا يواجه
أحدا بما يكره فلما خرج قال لو قلتم له يغسل هذا
ينزعها **قالت عائشة** رضي الله عنها في
الصحيح لم يكن النبي صلى الله عليه وسلم فاحشا
ولا متفحشا ولا صخابا بالأسواق ولا يجزي با
لسيئة السيئة ولكن يعفو ويصفح وقد حكي
مثل هذا الكلام عن التوراة من رواية عبد الله
ابن سلام وعبد الله بن عمرو بن العاص وروي عنه
عليه السلام أنه كان من حيائه لا يثبت بصره
في وجه أحد وأنه كان يكني عما اضطره الكلام
إليه مما يكره وعن عائشة رضي الله عنها ما رأيت

بحب رسول الله صلى الله عليه وسلم فكـ

فصل

واما حسن عشرته وادبه وبسط خلقه صلى
الله عليه وسلم مع اصناف الخلق فبحيث
انتشرت به الاخبار الصحيحة قال علي رضي
الله عنه في وصفه عليه السلام كان اوسع
الناس صدرا واصدق الناس لهجة والينهم عريكة
واكرمهم عشرة حدثنا ابو الحسن علي
بن مشرف الانماطي فيما اجازنيه وقراته على
غيره قال نا ابو اسحاق الحبال قال اخبرنا
ابو محمد بن النحاس نا ابن الاعرابي نا ابو داود
نا هشام ابو مروان ومحمد بن المثنى قالا نا الو
ليد بن مسلم نا الاوزاعي سمعت يحيى بن ابي كثير
يقول حدثني محمد بن عبد الرحمن بن اسعد بن زرارة
عن قيس بن سعد قال زارنا رسول الله صلى
الله عليه وسلم وذكر قصة في اخرها فلما
اراد الانصراف قرب له سعد حمارا وطا عليه
بقطيفة فركب رسول الله صلى الله عليه وسلم
ثم قال سعد يا قيس اصحب رسول الله صلى

الله عليه وسلم قال قيس فقال لي رسول الله
صلى الله عليه وسلم اركب فابيت فقال اما
ان تركب واما ان تنصرف فانصرفت وفي روا
ية اخرى اركب امامي فصاحب الدابة اولى بمقدمها
وكان عليه الصلاة والسلام يؤلفهم ولا ينفر
هم ويكرم كريم كل قوم ويوليه عليهم ويحذر الناس
ويحترس منهم من غير ان يطوي على احد منهم
بشره ولا خلقه ويتفقد اصحابه ويعطي كل جلسا
ئه نصيبه لا يحسب جليسه ان احدا اكرم عليه
منه من جالسه او قاربه لحاجة صابره حتى يكون
هو المنصرف عنه ومن ساله حاجة لم يرده الا بها
او بميسور من القول قد وسع الناس بسطه وخلقه
فصار لهم ابا وصاروا عنده في الحق سواء وبهذا
وصفه ابن ابي هالة وكان دائم البشر سهل الخلق
لين الجانب ليس بفظ ولا غليظ ولا صخاب ولا فحاش
ولا عياب ولا مداح يتغافل عما لا يشتهي ولا يؤ
يس منه وقال الله تعالى فبما رحمة من الله لنت لهم
الاية وقال تعالى ادفع بالتي هي احسن الاية
وكان يجيب من دعاه ويقبل الهدية ولو كانت كراعا

ويحافظ عليهما قال أنس خدمت رسول
الله صلى الله عليه وسلم عشر سنين فما قال لي
قط أف قط ولا قال لشيء صنعته لم صنعته
ولا لشيء تركته لم تركته وعن عائشة رضي
الله عنها قالت ما كان أحد أحسن خلقا من
رسول الله صلى الله عليه وسلم ما دعاه أحد
من الصحابة ولا أهل بيته إلا قال لبيك وقال جرير
بن عبد الله ما حجبني رسول الله صلى الله عليه
وسلم منذ أسلمت ولا رآني إلا تبسم وكان صلى
الله عليه وسلم يمازح الصحابة ويخالطهم ويحادثهم
ويداعب صبيانهم ويجلسهم في حجره ويجيب دعوة
الحر والعبد والأمة والمسكين ويعود المرضى في أقصى
المدينة ويقبل عذر المعتذر قال أنس ما التقم
أحد أذن النبي صلى الله عليه وسلم فينحي رأسه
حتى يكون الرجل هو الذي ينحي رأسه وما أخذ
أحد بيده فيرسل يده حتى يرسلها الآخر ولم ير مقدما
ركبتيه بين يدي جليس له وكان يبدأ من لقيه بالسلام
ويبدأ الصحابة بالمصافحة بل بالمصافحة ولم ير قط
مادا رجليه بين الصحابة حتى يضيق بهما على أحد

يكرم

يكرم من يدخل عليه وربما بسط له ثوبه و
يؤثره بالوسادة التي تحته ويعزم عليه
في الجلوس عليها إن أبى ويكني أصحابه ويد
عوهم بأحب أسمائهم تكرمة لهم ولا يقطع
على أحد حديثه حتى يتجوز فيقطعه بنهي أو قيام
من مجلسه وفي رواية بانتهاء أو قيام وروي أنه كان
لا يجلس إليه أحد وهو يصلي إلا خفف صلاته
وسأله عن حاجته فإذا فرغ عاد إلى صلاته
وكان أكثر الناس تبسما وأطيبهم نفسا ما لم
ينزل عليه قرآن أو يعظ أو يخطب قال عبد
الله بن الحارث ما رأيت أحدا أكثر تبسما من رسول
الله صلى الله عليه وسلم وعن أنس كان خدم المد
ينة يأتون النبي صلى الله عليه وسلم إذا صلى
الغداة بآنيتهم فيها الماء فما يؤتى بآنية
إلا غمس يده فيها وربما كان ذلك في الغداة البا
ردة يريدون التبرك

فصل

وأما الشفقة والرأفة والرحمة لجميع الخلق
فقد قال تعالى فيه عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم

بالمؤمنين رؤوف رحيم وقال وما ارسلناك الا
رحمة للعالمين وقال بعضهم من فضله عليه الصلا
ة والسلام ان الله تعالى اعطاه اسمين من اسمائه
فقال تعالى بالمؤمنين رؤوف رحيم وحكى نحوه
الامام ابو بكر ابن فورك حدثنا الفقيه
ابو محمد عبد الله بن محمد الخشني بقراءتي عليه
نا امام الحرمين ابو علي الطبري نا عبد الغافر
الفارسي نا ابو احمد الجلودي نا ابراهيم بن سفيان
نا مسلم بن الحجاج نا ابو الطاهر اخبرنا ابن
وهب اخبرنا يونس عن ابن شهاب قال غزا
رسول الله صلى الله عليه وسلم غزوة وذكر
حنينا قال فاعطى رسول الله صلى الله عليه
وسلم صفوان بن امية مائة من النعم ثم مائة ثم
مائة قال ابن شهاب حدثني سعيد بن المسيب
ان صفوان قال والله لقد اعطاني ما اعطاني
وانه لابغض الخلق الي فما زال يعطيني حتى انه
لاحب الخلق الي وروي ان اعرابيا جاءه
يطلب منه شيئا فاعطاه ثم قال احسنت
اليك قال الاعرابي لا ولا اجملت فغضب المسلمون

وقاموا

وقاموا اليه فاشار اليهم ان كفوا ثم قام ودخل
منزله وارسل اليه وزاده شيئا ثم قال
احسنت اليك قال نعم فجزاك الله من اهل
وعشيرة خيرا فقال له النبي صلى الله عليه وسلم
انك قلت ما قلت وفي انفس اصحابي من ذلك
شيء فان احببت فقل بين ايديهم ما قلت بين
يدي حتى يذهب ما في صدورهم عليك قال نعم
فلما كان الغد او العشي جاء فقال صلى الله
عليه وسلم ان هذا الاعرابي قال ما قال فزدناه
فزعم انه رضي اكذلك قال نعم فجزاك
الله من اهل وعشيرة خيرا فقال عليه السلام
مثلي ومثل هذا مثل رجل له ناقة شردت عليه
فاتبعها الناس فلم يزيدوها الا نفورا فناداهم
صاحبها خلوا بيني وبين ناقتي فاني ارفق بها
منكم واعلم فتوجه لها بين يديها فاخذ لها من
قمام الارض فردها حتى جاءت واستناخت وشد
عليها رحلها واستوى عليها واني لو تركتكم حيث
قال الرجل ما قال فقتلتموه دخل النار وروي
عنه عليه السلام انه قال لا يبلغني احد منكم

عن أحد من أصحابه شيئا فإني أحب أن أخرج إليكم
وأنا سليم الصدر ومن شفقته على أمته
عليه السلام تخفيفه عنهم وتسهيله عليهم
وكراهته أشياء مخافة أن تفرض عليهم كقوله
عليه السلام لولا أن أشق على أمتي لأمرتهم
بالسواك مع كل وضوء وخبر صلاة الليل ونهيهم
عن الوصال وكراهته دخول الكعبة لئلا يعنت
أمته ورغبته لربه أن يجعل سبه ولعنه لهم
رحمة بهم وأنه كان يسمع بكاء الصبي فيتجوز
في صلاته ومن شفقته صلى الله عليه وسلم
أن دعا ربه وعاهده فقال أيما رجل سببته أو
لعنته فاجعل ذلك له زكاة ورحمة وصلاة
وطهورا وقربة تقربه بها إليك يوم القيامة
ولما كذبه قومه أتاه جبريل فقال له إن
الله قد سمع قول قومك لك وما ردوا عليك وقد
أمر ملك الجبال لتأمره بما شئت فيهم فناداه
ملك الجبال وسلم عليه وقال مرني بما شئت إن
شئت أن أطبق عليهم الأخشبين قال النبي صلى
الله عليه وسلم بل أرجو أن يخرج الله من أصلابهم

من يعبد

من يعبد الله وحده ولا يشرك به شيئا وروى ابن
المنكدر أن جبريل قال للنبي صلى الله عليه وسلم
إن الله تعالى أمر السماء والأرض والجبال أن تطيعك
فقال أؤخر عن أمتي لعل الله أن يتوب عليهم
قالت عائشة رضي الله عنها ما خير رسول
الله صلى الله عليه وسلم بين أمرين إلا اختار
أيسرهما وقال ابن مسعود كان رسول الله
صلى الله عليه وسلم يتخولنا بالموعظة مخافة
السآمة علينا وعن عائشة رضي الله عنها
أنها ركبت بعيرا وفيه صعوبة فجعلت تردده
فقال لها عليه السلام عليك بالرفق

فصل

وأما خلقه صلى الله عليه وسلم في الوفاء
وحسن العهد وصلة الرحم فحدثنا القاضي
أبو عامر محمد بن إسماعيل بقراءة عليه قال ثنا
أبو بكر محمد بن محمد نا أبو إسحاق الحبال نا محمد
ابن النحاس نا ابن الأعرابي نا أبو داود نا محمد
ابن يحيى نا محمد بن سنان نا إبراهيم بن طهمان
عن بديل عن عبد الكريم بن عبد الله بن شقيق عن أبيه

عن عبد الله بن أبي الحمساء قال بايعت النبي صلى الله
عليه وسلم ببيع قبل أن يبعث وبقيت له
بقية فوعدته بمكان أن آتيه بها في مكانه فنسيت
ثم ذكرت بعد ثلاث فجئت فإذا هو في مكانه
فقال يا فتى لقد شققت علي أنا هنا منذ ثلاث
أنتظرك وعن أنس قال كان النبي صلى الله عليه
وسلم إذا أتي بهدية قال اذهبوا بها إلى بيت
فلانة فإنها كانت صديقة لخديجة إنها كانت
تحب خديجة وعن عائشة رضي الله عنها قالت
ما غرت على امرأة ما غرت على خديجة لما كنت أسمعه
يذكرها وإن كان ليذبح الشاة فيهديها إلى خلا
يلها واستأذنت عليه أختها فارتاح إليها
ودخلت عليه امرأة فهش لها وأحسن السؤال
عنها فلما خرجت قال إنها كانت تأتينا أيام
خديجة وإن حسن العهد من الإيمان ووصفه بعضهم
فقال كان يصل ذوي رحمه من غير أن يؤثرهم على من
هو أفضل منهم وقال صلى الله عليه وسلم إن
آل بني فلان ليسوا لي بأولياء غير أن لهم رحما
سأبلها ببلالها وقد صلى عليه السلام بأمامة

ابنت

٥٦

لابنت ابنته زينب يحملها على عاتقه فإذا سجد
وضعها وإذا قام حملها وعن أبي قتادة قال
وفد وفد للنجاشي فقام النبي صلى الله عليه وسلم
يخدمهم فقال له أصحابه نكفيك فقال إنهم كانوا
لأصحابنا مكرمين وإني أحب أن أكافئهم ولما جيء
بأخته من الرضاعة الشيماء في سبايا هوازن وتعـ
رفت له بسط لها رداءه وقال لها إن أحببت أقمت
عندي مكرمة محببة أو متعتك ورجعت إلى قومك
فاختارت قومها فمتعها وقال أبو الطفيل
رأيت النبي صلى الله عليه وسلم وأنا غلام إذ
أقبلت امرأة حتى دنت منه فبسط لها رداءه
فجلست عليه فقلت من هذه فقالوا أمه التي أرضعته
وعن عمر بن السائب أن رسول الله صلى الله عليه
وسلم كان جالسا يوما فأقبل أبوه من الرضاعة
فوضع له بعض ثوبه فقعد عليه ثم أقبلت أمه
فوضع لها شق ثوبه من جانبه الآخر فجلست عليه
ثم أقبل أخوه من الرضاعة فقام رسول الله صلى الله
عليه وسلم فأجلسه بين يديه وكان يبعث إلى ثويبة
مولاة أبي لهب مرضعته بصلة وكسوة فلما ماتت

تسأل من بقي من قرابتها بفضل كلام أصح وفي حديث
خديجة أنها قالت له عليه السلام أبشر فوالله
لا يخزيك الله أبدا إنك لتصل الرحم وتحمل
الكل وتكسب المعدوم وتقري الضيف وتعين على
نوائب الحق.

فصل

وأما تواضعه عليه السلام على علو منصبه
ورفعة رتبته فكان أشد الناس تواضعا
وأقلهم كبرا وحسبك أنه خيّر بين أن يكون نبيا
عبدا أو يكون نبيا ملكا فاختار أن يكون نبيا
عبدا فقال له إسرافيل عليه السلام عند ذلك
فإن الله قد أعطاك بما تواضعت له أنك سيد
ولد آدم يوم القيامة وأول من تنشق عنه الأرض
وأول شافع حدثنا أبو الوليد بن
العواد الفقيه رحمه الله بقراءتي عليه في منزله
بقرطبة سنة سبع وخمسمائة قال نا أبو علي
الحافظ نا أبو عمر بن عبد البر نا بن عبد المومن نا
ابن داسة نا أبو داود نا أبو بكر بن أبي شيبة
نا عبد الله بن نمير عن مسعر عن أبي العنبس عن أبي
العدبس عن أبي مرزوق عن أبي غالب عن أبي أمامة

رضي الله عنه قال خرج علينا رسول الله
صلى الله عليه وسلم متوكئا على عصا فقمنا
إليه فقال لا تقوموا كما تقوم الأعاجم يعظم
بعضهم بعضا وقال إنما أنا عبد آكل كما يأكل
العبد وأجلس كما يجلس العبد وكان صلى
الله عليه وسلم يركب الحمار ويردف خلفه
ويعود المساكين ويجالس الفقراء ويجيب دعوة
العبد ويجلس بين أصحابه مختلطا بهم حيث ما
انتهى به المجلس جلس وفي حديث عمر رضي الله عنه
لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم إنما أنا
عبد فقولوا عبد الله ورسوله وعن أنس رضي
الله عنه أن امرأة كان في عقلها شيء جاءته
فقالت إن لي إليك حاجة قال اجلسي يا أم فلان
في أي طرق المدينة شئت أجلس إليك حتى أقضي
حاجتك قال فجلست فجلس النبي صلى الله عليه
وسلم إليها حتى فرغت من حاجتها قال أنس
رضي الله عنه كان رسول الله صلى الله عليه
وسلم يركب الحمار ويجيب دعوة العبد وكان يوم
بني قريظة على حمار مخطوم بحبل من ليف عليه

إكاف وكان يدعى إلى خبز الشعير والإهالة
السنخة فيجيب قال وحج صلى الله عليه وسلم
على رحل رث وعليه قطيفة ما تساوي اربعة درا
هم فقال اللهم اجعله حجا لا رياء فيه
ولا سمعة هذا وقد فتحت عليه الارض واهدى في
حجه ذلك مائة بدنة ولما فتحت عليه مكة
ودخلها بجيوش المسلمين طأطأ على رحله راسه
حتى كاد يمس قادمته تواضعا لله تعالى ومن تواض
عه صلى الله عليه وسلم قوله لا تفضلوني على
يونس بن متى ولا تفضلوا بين الانبياء ولا تخيروني
على موسى ونحن احق بالشك من ابراهيم وسيأتي
الكلام على هذه بعد ان شاء الله تعالى وعن عا
ئشة رضي الله عنها والحسن وابي سعيد وغير
هم رضوان الله عليهم في صفته صلى الله عليه
وسلم وبعضهم يزيد على بعض كان في بيته في
مهنة اهله يفلي ثوبه ويحلب شاته ويرقع ثوبه
ويخصف نعله ويخدم نفسه ويقم البيت ويعقل
البعير ويعلف ناضحه ويأكل مع الخادم ويعجن
معها ويحمل بضاعته من السوق وعن انس رضي

الله

الله عنه ان كانت الامة من اماء اهل المدينة
لتأخذ بيد رسول الله صلى الله عليه وسلم
فتنطلق به حيث شاءت حتى تقضي حاجتها
ودخل عليه رجل فأصابته من هيبته رعدة
فقال له هون عليك فاني لست بملك انما انا
ابن امرأة من قريش تاكل القديد وعن ابي هريرة
رضي الله عنه دخلت السوق مع النبي صلى الله
عليه وسلم فاشترى سراويل وقال للوزان زن
وارجح وذكر القصة قال فوثب الى يد رسول
الله صلى الله عليه وسلم يقبلها فجذب يده وقا
ل هذا تفعله الاعاجم بملوكها ولست بملك انما
انا رجل منكم ثم اخذ السراويل فذهبت لاحمله
فقال صاحب الشيء احق بشيئه ان يحمله

فصل

وأما عدله صلى الله عليه وسلم وامانته
وعفته وصدق لهجته فكان صلى الله عليه وسلم
آمن الناس واصدقهم لهجة منذ كان اعترف له
بذلك محادوه وعداه وكان يسمى قبل نبوته
الامين قال ابن اسحاق كان يسمى الامين

فيما جمع الله فيه من الاخلاق الصالحة وقال
تعلى مطاع ثم امين اكثر المفسرين على انه محمد
عليه السلام ولما اختلفت قريش وتحازبت
عند بناء الكعبة فيمن يضع الحجر حكموا اول دا
خل عليهم فاذا بالنبي صلى الله عليه وسلم
داخل وذلك قبل نبوته فقالوا هذا محمد
هذا الامين قد رضينا به وعن الربيع بن
خثيم كان يتحاكم الى رسول الله صلى الله عليه
وسلم في الجاهلية قبل الاسلام وقال عليه
السلام والله اني لامين في السماء امين في الا
رض حدثنا ابو علي الصدفي الحافظ
بقراءتي عليه نا ابو الفضل بن خيرون نا ابو
يعلى بن زوج الحرة نا ابو علي السنجي نا محمد
بن محبوب المروزي نا ابو عيسى الحافظ نا ابو
كريب نا معاوية بن هشام عن سفيان عن ابي
اسحاق عن ناجية بن كعب عن علي رضي الله عنه
ان ابا جهل قال للنبي صلى الله عليه وسلم
انا لا نكذبك ولكن نكذب بما جئت به فانزل
الله تعلى فانهم لا يكذبونك الآية وروى غيره

لا نكذبك وما انت فينا بمكذب وقيل ان الا
خنس بن شريق لقي ابا جهل يوم بدر فقال
له يا ابا الحكم ليس هنا غيري وغيرك يسمع
كلامنا تخبرني عن محمد صادق ام كاذب فقال
ابو جهل والله ان محمدا لصادق وما كذب محمد
قط وسأل هرقل عنه ابا سفيان فقال هل
كنتم تتهمونه بالكذب قبل ان يقول ما قال قال
لا وقال النضر بن الحارث لقريش قد كان محمد
فيكم غلاما حدثا ارضاكم فيكم واصدقكم حديثا
واعظمكم امانة حتى اذا رأيتم في صدغيه الشيب
وجاءكم بما جاءكم به قلتم ساحر لا والله ما هو
بساحر وفي الحديث عنه صلى الله عليه وسلم
ما لمست يدي يد امرأة قط لا يملك رقها وفي حد
يث علي رضي الله عنه في وصفه عليه السلام
اصدق الناس لهجة وقال في الصحيح ويحك فمن
يعدل ان لم اعدل خبت وخسرت ان لم اعدل
قالت عائشة رضي الله عنها ما خير رسول
الله صلى الله عليه وسلم في امرين الا اختار
ايسرهما ما لم يكن اثما فان كان اثما كان ابعد

الناس منه. قال أبو العباس المبرد قسم كسرى
أيامه فقال يصلح يوم الريح للنوم ويوم الغيم
للصيد ويوم المطر للشرب واللهو ويوم الشمس
للحوائج. قال ابن خالويه ما كان أعرفهم بسياسة
دنياهم يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا
وهم عن الآخرة هم غافلون. ولكن نبينا صلى الله
عليه وسلم جزأ نهاره ثلاثة أجزاء جزءا لله
وجزءا لأهله وجزءا لنفسه ثم جزأ جزأه بينه
وبين الناس فكان يستعين بالخاصة على العامة
ويقول أبلغوا حاجة من لا يستطيع إبلاغي
فإنه من أبلغ حاجة من لا يستطيع إبلاغها
آمنه الله تعالى يوم الفزع الأكبر. وعن الحسن
رضي الله عنه كان رسول الله صلى الله عليه
وسلم لا يأخذ أحدا بقرف أحد ولا يصدق أحدا
على أحد. وذكر أبو جعفر الطبري عن علي
رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم
ما هممت بشيء مما كان أهل الجاهلية يعملون
به غير مرتين كل ذلك يحول الله بيني وبين ما
أريد من ذلك ثم ما هممت بسوء حتى أكرمني الله ب

رسالته

رسالته قلت ليلة لغلام كان يرعى معي لو
أبصرت لي غنمي حتى أدخل مكة فأسمر بها
كما يسمر الشباب فخرجت لذلك حتى جئت
أول دار من مكة سمعت عزفا بالدفوف والمزامير
لعرس بعضهم فجلست أنظر فضرب على أذني
فنمت فما أيقظني إلا مس الشمس فرجعت
ولم أقض شيئا ثم عراني مرة أخرى مثل ذلك ثم
لم أهمّ بعد ذلك بسوء.

فصل

وأما وقاره صلى الله عليه وسلم وحلمه وتؤدته
ومروءته وحسن هديه فحدثنا أبو علي
الجياني الحافظ إجازة وعارضت بكتابه قال
حدثنا أبو العباس الدلائي ثنا أبو ذر الهروي
ثنا أبو عبد الله الوراق ثنا اللؤلؤي ثنا أبو
داود ثنا عبد الرحمن بن سلام ثنا حجاج بن محمد
عن عبد الرحمن بن أبي الزناد عن محمد بن عبد الرحمن بن
أبي لبيبة قال سمعت خارجة بن زيد رضي الله
عنه يقول كان النبي صلى الله عليه وسلم أوقر
الناس في مجلسه لا يكاد يخرج شيئا من أطرافه

وروى ابو سعيد الخدري كان عليه السلام اذا
جلس في المجلس احتبى بيديه وكذلك كان اكثر
جلوسه صلى الله عليه وسلم محتبيا وعن جابر
ابن سمرة انه صلى الله عليه وسلم تربع وربما
جلس القرفصاء وهو في حديث قيلة وكان
صلى الله عليه وسلم كثير السكوت لا يتكلم في
غير حاجة يعرض عمن تكلم بغير جميل وكان
ضحكه تبسما وكلامه فصلا لا فضول ولا تقصير
وكان ضحك اصحابه عنده التبسم توقيرا له واقتداء
به مجلسه مجلس حلم وحياء وخير وامانة
لا ترفع فيه الاصوات ولا تؤبن فيه الحرم اذا
تكلم اطرق جلساؤه كانما على رؤوسهم الطير
وفي صفته صلى الله عليه وسلم يخطو
تكفؤا ويمشي هونا كانما ينحط من صبب وفي
الحديث الآخر اذا مشى مشى تقلعا يعرف في مشيته
انه غير غرض ولا وكل اي غير ضجر ولا كسلان
وقال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه
ان احسن الهدي هدي محمد صلى الله عليه
وسلم وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما كان

في كلا

في كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم ترتيل
او ترسيل قال ابن ابي هالة كان سكوته عليه
السلام على اربع على الحلم والحذر والتقدير
والتفكر قالت عائشة رضي الله عنها
كان عليه السلام يحدث حديثا لو عده العاد
احصاه وكان عليه السلام يحب الطيب والرائحة
الحسنة ويستعملهما كثيرا ويحض عليهما
ويقول حبب الي من دنياكم النساء والطيب
وجعلت قرة عيني في الصلاة ومن مروءته
صلى الله عليه وسلم نهيه عن النفخ في الطعا
م والشراب والامر بالاكل مما يلي والامر با
لسواك وانقاء البراجم والرواجب واستعمال
خصال الفطرة

فصل

واما زهده في الدنيا صلى الله عليه وسلم فقد
تقدم من الاخبار اثناء هذه السيرة ما يكفي وحسبك
من تقلله منها واعراضه عن زهرتها وقد سيقت
اليه بحذافيرها وترادفت عليه فتوحها الى
ان توفي عليه السلام ودرعه مرهونة عند يهودي
في نفقة عياله وهو يدعو ويقول اللهم اجعل

رزق آل محمد قوتا حدثنا سعيان
ابن القاضي والحسين بن محمد الحاكم والقاضي
ابو عبد الله التيمي قالوا قال احمد بن عمر
قال نا ابو العباس ابن ابراهيم قال نا احمد الجلو
دي نا ابن سفيان محمد ابو الحسين بن الحجاج
نا ابو بكر بن ابي شيبة نا ابو معاوية عن الا
عمش عن ابراهيم عن الاسود عن عائشة رضي
الله عنها قالت ما شبع رسول الله صلى
الله عليه وسلم ثلاثة ايام تباعا من خبز
حتى مضى لسبيله وفي رواية اخرى من خبز شعير
يومين متواليين ولو شاء لاعطاه الله ما لا
يخطر ببال وفي رواية اخرى ما شبع رسول
الله صلى الله عليه وسلم من خبز بر حتى لقي
الله تعالى وقالت عائشة رضي الله عنها
ما ترك رسول الله صلى الله عليه وسلم دينارا
ولا درهما ولا شاة ولا بعيرا وفي حديث
عمرو بن الحارث ما ترك الا سلاحه وبغلته وارضا
جعلها صدقة قالت عائشة رضي الله عنها
ولقد مات وما في بيتي شيء ياكله ذو كبد الا

شطر

شطر شعير في رف لي وقال لي اني عرض علي
ان يجعل لي بطحاء مكة ذهبا فقلت لا يا رب
اجوع يوما واشبع يوما فاما اليوم الذي اجوع
فيه فاتضرع اليك وادعوك واما اليوم الذي
اشبع فيه فاحمدك واثني عليك وفي خبر
في الفراد جبريل عليه السلام نزل عليه
فقال له ان الله يقرئك السلام ويقول لك اتحب
ان اجعل هذه الجبال ذهبا وتكون معك حيث
ما كنت فاطرق ساعة ثم قال يا جبريل ان
الدنيا دار من لا دار له ومال من لا مال له يجمعها
من لا عقل له فقال له جبريل ثبتك الله
يا محمد بالقول الثابت وعن عائشة رضي
الله عنها قالت ان كنا آل محمد لنمكث شهرا
ما نستوقد نارا ان هو الا التمر والماء وعن عمر
ابن الخطاب قال هلك رسول الله صلى الله عليه
وسلم ولم يشبع هو واهل بيته من خبز الشعير
وعن عائشة وابي امامة وابن عباس نحوه
قال ابن عباس كان رسول الله صلى الله عليه
وسلم يبيت هو واهله الليالي المتتابعة

كانوا لا يجدون عشاء وعن انس قال ما أكل
رسول الله صلى الله عليه وسلم على خوان ولا
في سكرجة ولا خبز له مرقق ولا رأى شاة سميطا
قط وعن عائشة رضي الله عنها انما كان
فراش رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي ينام
عليه ادما حشوه ليف وعن حفصة كان فراش
رسول الله صلى الله عليه وسلم في بيته مسحا
نثنيه ثنيتين فينام عليه فثنيناه ليلة باربع
فلما اصبح قال ما فرشتموني الليلة فذكرنا له
ذلك فقال ردوه لحالته فانه منعتني وطأته
الليلة صلاتي وكان ينام احيانا على سرير مرمول
بشريط حتى يؤثر في جنبه وعن عائشة
رضي الله عنها قالت لم يمتلئ جوف النبي صلى
الله عليه وسلم شبعا قط ولم يبث شكوى
الى احد وكانت الفاقة احب اليه من الغنى
وان كان ليظل جائعا يلتوي طول ليلته من
الجوع فلا يمنعه صيام يومه ولو شاء سأل ربه
جميع كنوز الارض وثمارها ورغد عيشها ولقد
كنت ابكي رحمة له مما ارى به وامسح بيدي على

بطنه

بطنه مما ارى به من الجوع واقول نفسي لك
الفداء لو تبلغت من الدنيا بما يقوتك فيقول
يا عائشة ما لي وللدنيا اخواني من اولي العزم
من الرسل صبروا على ما هو اشد من هذا فمضوا
على حالهم فقدموا على ربهم فاكرم مآبهم
واجزل ثوابهم فاجدني استحيي ان ترفهت في
معيشتي ان يقصر بي غدا دونهم وما من شيء هو
احب الي من اللحوق باخواني واخلائي قالت
فما اقام بعد الا شهرا حتى توفي صلوات الله
وسلامه عليه

فصل

واما خوفه ربه وطاعته له وشدة عبادته
فعلى قدر علمه بربه ولذلك قال فيما حدثنا
ابو محمد بن عتاب قراءة مني عليه قال نا ابو
القاسم الطرابلسي نا ابو حفص الغافقي نا
ابو زيد المروزي نا ابو عبد الله الفربري نا محمد
ابن اسماعيل نا يحيى بن بكير عن الليث عن عقيل
عن ابن شهاب عن سعيد بن المسيب ان ابا هريرة
رضي الله عنه كان يقول قال رسول الله صلى

الله عليه وسلم لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا
ولبكيتم كثيرا زاد في رواية عن أبي عيسى الترمذي
من رواية أبي ذر إني أرى ما لا ترون وأسمع
ما لا تسمعون أطت السماء وحق لها أن تئط
ما فيها موضع أربع أصابع إلا وملك واضع
جبهته ساجدا لله والله لو تعلمون ما أعلم
لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا وما تلذذتم بالنساء
على الفرش ولخرجتم إلى الصعدات تجأرون إلى
الله تعالى لوددت أني شجرة تعضد وروي هذا الكلام
لوددت أني شجرة تعضد من قول أبي ذر نفسه وهو
أصح وفي حديث المغيرة صلى رسول الله صلى
الله عليه وسلم حتى انتفخت قدماه وفي رواية
أنه كان يصلي حتى ترم قدماه فقيل له أتتكلف
هذا وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر
قال أفلا أكون عبدا شكورا ونحوه عن أبي سلمة
وأبي هريرة رضي الله عنهما وقالت عائشة
رضي الله عنها كان عمل رسول الله صلى الله
عليه وسلم ديمة وأيكم يطيق ما كان يطيق
وقالت كان يصوم حتى نقول لا يفطر ويفطر حتى

نقول

نقول لا يصوم ونحوه عن ابن عباس رضي الله عنه
وأم سلمة وأنس وقال كنت لا تشاء أن تراه
من الليل مصليا إلا رأيته مصليا ولا نائما إلا
رأيته نائما وقال عوف بن مالك كنت مع رسول
الله صلى الله عليه وسلم ليلة فاستاك ثم توضأ
ثم قام يصلي فقمت معه فبدأ فاستفتح
البقرة فلا يمر بآية رحمة إلا وقف فسأل ولا يمر
بآية عذاب إلا وقف فتعوذ ثم ركع فمكث بقدر
قيامه يقول سبحان الله ذي الجبروت والملكوت
والعظمة ثم سجد وقال مثل ذلك ثم قرأ آل عمران
ثم سورة سورة يفعل مثل ذلك وعن حذيفة مثله
وقال سجد نحوا من قيامه وجلس بين السجدتين نحوا
منه وقال حتى قرأ البقرة وآل عمران والنساء
والمائدة وعن عائشة رضي الله عنها قام
عليه الصلاة والسلام بآية من القرآن ليلة
وعن عبد الله بن الشخير رضي الله عنه أتيت رسول
الله صلى الله عليه وسلم وهو يصلي ولجوفه
أزيز كأزيز المرجل قال ابن أبي هالة كان صلى
الله عليه وسلم متواصل الأحزان دائم الفكرة

ليست له راحة وقال عليه السلام اني لأستغفر
الله في اليوم مائة مرة وروي سبعين مرة وعن
علي رضي الله عنه قال سألت رسول الله صلى
الله عليه وسلم عن سنته فقال المعرفة رأس مالي
والعقل أصل ديني والحب أساسي والشوق مركبي
وذكر الله أنيسي والثقة كنزي والحزن رفيقي والعلم
سلاحي والصبر ردائي والرضى غنيمتي والعجز
فخري والزهد حرفتي واليقين قوتي والصدق شفيعي
والطاعة حسبي والجهاد خلقي وقرة عيني في
الصلاة وفي حديث آخر وثمرة فؤادي في ذكره وغمي
لأجل أمتي وشوقي الى ربي •

فصل

قال المؤلف رحمه الله تعالى اعلم وفقنا
الله وإياك أن صفات جميع الأنبياء والمرسلين
صلوات الله عليهم من كمال الخلق وحسن الصورة
وشرف النسب وحسن الخلق وجميع المحاسن
هي هذه الصفة لأنها صفات الكمال والجمال
والتمام البشري والفضل الجميع لهم صلوات
الله عليهم أنه وتستعمل أشرف الرتب ودرجاتهم

أرفع

أرفع الدرجات وكذلك فضل الله بعضهم
على بعض قال الله تعالى تلك الرسل فضلنا
بعضهم على بعض وقال ولقد اخترناهم على علم على
العالمين وفي قال عليه الصلاة والسلام ان أول
زمرة يدخلون الجنة على صورة القمر ليلة البدر ثم قال
في آخر الحديث على خلق رجل واحد على صورة أبيهم
آدم صلى الله عليه وسلم طوله ستون ذراعا في
السماء وفي حديث ابن عمر قال رأيت موسى فإذا هو
رجل ضرب رجل الرأس كأنه من رجال شنوءة ورأيت
عيسى فإذا هو رجل ربعة كثير خيلان الوجه أحمر
كأنما خرج من ديماس وفي حديث آخر مبطن مثل
السيف قال وأنا أشبه ولد إبراهيم به وقال في حد
يث آخر في صفة موسى عليه السلام كأحسن ما أنت
راء من أدم الرجال وفي حديث ابن عمر رضي
الله عنه عنه صلى الله عليه وسلم ما بعث
الله تعالى من بعد لوط نبيا إلا في ذروة من قومه
وفي رواية في ثروة أي كثرة ومنعة وحكي الترمذي
عن قتادة ورواه الدارقطني من حديث قتادة
عن أنس ما بعث الله نبيا إلا حسن الوجه حسن

الصوت فكان نبيكم أحسنهم وجها وأحسنهم
صوتا وفي حديث هرقل وتسألك عن نسبه فذ
كرت أنه فيكم ذو نسب وكذلك الرسل تبعث
في أنساب قومها وقال تعلى في أيوب عليه
السلام إنا وجدناه صابرا نعم العبد إنه أواب
وقال تعلى يا يحيى خذ الكتاب بقوة إلى قوله
ويوم يبعث حيا وقال إن الله يبشرك بيحيى
مصدقا إلى قوله الصالحين وقال إن الله
اصطفى آدم ونوحا وآل إبراهيم وآل عمران على
العالمين الا يسير وقال في نوح إنه كان عبدا
شكورا وقال إن الله يبشرك بكلمة منه
اسمه المسيح الآية وقال إني عبد الله آتاني
الكتاب إلى قوله ما دمت حيا وقال يا أيها الذ
ين آمنوا لا تكونوا كالذين آذوا موسى الآية
قال النبي صلى الله عليه وسلم كان
موسى رجلا حييا ستيرا ما يرى من جلده شيء
استحياء منه وقال تعلى عنه فوهب لي ربي
حكما الآية وقال في وصف جماعة منهم إني لكم
رسول أمين وقال إن خير من استأجرت القوي الأمين

وقال

وقال فاصبر كما صبر أولو العزم من الرسل وقا
ل ووهبنا له إسحاق ويعقوب كلا هدينا إلى
قوله فبهداهم اقتده فوصفهم بأوصاف جمة
من الصلاح والهدى والحكم والاجتباء والنبوءة
وقال فبشرناه بغلام عليم وحليم وقال و
لقد فتنا قبلهم قوم فرعون وجاءهم رسول كريم
إلى قوله أمين وقال ستجدني إن شاء الله من الصا
برين وقال في إسماعيل إنه كان صادق الوعد
الا يسير وفي موسى إنه كان مخلصا وفي سليمان
نعم العبد إنه أواب وقال واذكر عبادنا
إبراهيم وإسحاق ويعقوب أولي الأيدي والأبصا
ر إلى الأخيار وفي داوود إنه أواب ثم قال
وشددنا ملكه وآتيناه الحكمة وفصل الخطاب
وقال عن يوسف اجعلني على خزائن الأرض
إني حفيظ عليم وفي موسى ستجدني إن شاء الله
صابرا وقال في شعيب ستجدني إن شاء
الله من الصالحين وقال وما أريد أن أخالفكم
إلى ما أنهاكم عنه إن أريد إلا الإصلاح ما
استطعت وقال ولوطا آتيناه حكما وعلما

وقال انهم كانوا انما يدعون في الحضرات الالهية
قال سفيان سواء الحين الرابع فيه اي كيفية ما
ذكرناها جميعها من خصائصهم ومحاسن اخلاقهم الدالة
على كمالهم وحياء من ذاتها في الاحاديث كثير
كقوله الكريم ابن الكريم ابن الكريم ابن الكريم يوسف
ابن يعقوب بن اسحاق بن ابراهيم نبي بن نبي بن نبي
ابن نبي وفي حديثها انهم من زيات الانبياء
تنام اعينهم ولا تنام قلوبهم وروي ان سليمان
عليه السلام كان مع ما اعطي من الملك لا يرفع
بصره الى السماء تخشعا وتواضعا لله تعالى
وكان يطعم الناس لذيذ الاطعمة ويأكل خبز
الشعير واوحى الله اليه يا راس العابدين ويا ابن محجة
الزاهدين وكانت العجوز تعترضه وهو على الريح
في جنوده فيأمر الريح فتقف فيقضي حاجتها ويمضي
وقيل ليوسف مالك تجوع وانت على خزائن
الارض قال اخاف ان اشبع فانسى الجائع
وروى ابو هريرة عنه عليه السلام خفف على
داود القرءان فكان يأمر بدوابه فتسرج فيفرغ
القرءان قبل ان تسرج وكان لا يأكل الا من عمل يده

قال الله تعالى وألنا له الحديد الاية وكان
يسأل ربه ان يرزقه [illegible] من عمل
بيت المقدس وقال عمر جلسنا مع الاكابر [illegible] الى
العبد صلاة داود واحب [illegible] الى الله صيام
داود وكان ينام نصف الليل ويقوم ثلثه
وينام سدسه ويصوم يوما ويفطر يوما وكان
يلبس الصوف ويفترش الشعر ويأكل خبز
الشعير بالملح والرماد ويمزج شرابه بالدموع
ولم ير ضاحكا بعد الخطيئة ولا شاخصا ببصره
الى السماء حياء من ربه ولم يزل باكيا حياته
كلها وقيل بكى حتى نبت العشب من دموعه
وحتى اتخذت الدموع في خده اخدودا وقيل
كان يخرج متخفيا ليتعرف سيرته فيسمع الثناء
عليه فيزداد تواضعا وقيل لعيسى عليه
السلام لو اتخذت حمارا فقال انا اكرم على
الله من ان يشغلني بحمار وكان يلبس الشعر
ويأكل الشجر ولم يكن له بيت اينما ادركه النوم
نام وكان احب الاسامي اليه ان يقال له
مسكين وقيل ان موسى لما ورد ماء مدين كانت

وقال انهم كانوا يسارعون في الخيرات الاية
قال سفيان هو الحزن الرابع في اي كثيرة ثم
كرتها جميعا وخصالهم ومحاسن اخلاقهم الدالة
على كمالهم وجاء في شانه في الاحاديث كثير
كقوله الكريم ابن الكريم ابن الكريم يوسف
ابن يعقوب بن اسحاق بن ابراهيم نبي بن نبي بن نبي
ابن نبي وفي حديث انس من تزايت الانبياء
تنام اعينهم ولا تنام قلوبهم وروي ان سليمان
عليه السلام كان مع ما اعطي من الملك لا يرفع
بصره الى السماء تخشعا وتواضعا لله تعالى
وكان يطعم الناس لذائذ الاطعمة وياكل خبز
الشعير واوحى الله اليه يا راس العابدين وابن محجة
الزاهدين وكانت العجوز تعترضه وهو على الريح
في جنوده فيامر الريح فتقف فيقضي حاجتها ويمضي
وقيل لسليمان مالك تجوع وانت على خزائن
الارض قال اخاف ان اشبع فانسى الجائع
وروي ابن عمر رضي عنه عليه السلام خفف على
داود القرآن فكان يامر بدوابه فتسرج فيقرا
القرآن قبل ان تسرج وكان لا ياكل الا من عمل يده

قال

قال الله تعالى وألنا له الحديد الاية وكان
يسأل ربه ان يرزقه [illegible] عن مال
بيت المال وقال عليه [illegible] الصلاة الى
الله صلاة داود وا[illegible] الى الله صيام
داود وكان ينام نصف [illegible] ويقوم ثلثه
وينام سدسه ويصوم [illegible] ويفطر يوما وكان
يلبس الصوف ويفترش الشعر وياكل خبز
الشعير بالملح والرماد ويمزج شرابه بالدموع
ولم ير ضاحكا بعد الخطيئة ولا شاخصا ببصره
الى السماء حياء من ربه ولم يزل باكيا حياته
كلها وقيل بكى حتى نبت العشب من دموعه
وحتى اخرقت الارض الدموع في خده اخدودا وقيل
كان يخرج متنكرا يتعرف سيرته فيسمع الثناء
عليه فيزداد تواضعا وقيل لعيسى عليه
السلام لو اتخذت حمارا فقال انا اكرم على
الله من ان يشغلني بحمار وكان يلبس الشعر
وياكل الشجر ولم يكن له بيت اينما ادركه النوم
نام وكان احب الاسامي اليه ان يقال له
مسكين وقيل ان موسى لما ورد ماء مدين كانت

ترى خضرة البقل في بطنه من الهزال وقال
صلى الله عليه وسلم إن كان الأنبياء قبلي
يبتلى [...] وكان ذلك أحب
إليهم من العـ[...] قال عيسى عليه السلام
لخنزير لقيه [...] السلام فقيل له في ذلك
فقال أكره أن أعو[د] لساني النطق بسوء
وقال مجاهد كان [...]عام يحيى العشب وكان
يبكي من خشية الله حتى اتخذ الدمع مجرى في خده
وحكى الطبري عن وهب أن موسى عليه السلام
كان لا يستظل في يوم وكان يأكل في نقرة من
حجر ويكرع فيها إذا أراد أن يشرب كما تكرع
الدابة تواضعا لله تعالى بما أكرمه الله به من
كلامه وأخبارهم في هذا كله صلوات الله عليهم
مسطورة وصفاتهم في الكمال وجميل الأخلاق
وحسن الصور والشمائل معروفة مشهورة فلا
نطول بها ولا تلتفت إلى ما تجده في كتب بعض
جهلة المتأخرين والمؤرخين مما يخالف هذا

فصل

قال المؤلف رحمه الله قد أتينا أكرمك الله
من ذكر الأخلاق الحميدة والفضائل المجيدة
وخصال الكمال العديدة وأرينا صحيحها له
صلى الله عليه وسلم وجلبنا من الآثار ما فيه
مقنع والأمر أوسع فمجال هذا الباب في حقه
عليه السلام ممتد تنقطع دون نفاده الأدلاء
وبحر علم خصائصه زاخر لا تكدره الدلاء ولكنا
أتينا فيه بالمعروف مما أكثره في الصحيح والمشهور
من المصنفات واختصرنا في ذلك بقل من كل
وغيض من فيض ورأينا أن نختم هذه الفصول
بذكر حديث الحسن عن ابن أبي هالة لجمعه من
شمائله وأوصافه كثيرا وإدماجه جملة كافية
من سيره وفضائله ونصله بتنبيه لطيف على
غريبه ومشكله حدثنا القاضي أبو
علي الحسين بن محمد الحافظ رحمه الله بقراءتي
عليه سنة ثمان وخمسمائة قال ثنا الإمام أبو
القاسم عبد الله بن طاهر التميمي قرأت عليه
أخبركم الفقيه الأديب أبو بكر محمد بن عبد الله بن
الحسن النيسابوري والشيخ الفقيه أبو عبد الله
محمد بن أحمد بن الحسن البحيري والقاضي أبو علي الحسن

ابن علي بن جعفر الوحيشي قالوا نا أبو القاسم
علي بن أحمد بن محمد بن الحسن الخزاعي قال نا أبو
سعيد الهيثم بن كليب الشاشي قال نا أبو
عيسى بن سورة الحافظ قال نا سفيان بن
وكيع نا جميع بن عمر بن عبد الرحمن العجلي إملاء
من كتابه قال حدثني رجل من بني تميم من ولد أبي
هالة زوج خديجة أم المؤمنين رضي الله عنها
يكنى أبا عبد الله عن ابن لأبي هالة عن الحسن
ابن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال سألت
خالي هند بن أبي هالة قال القاضي أبو علي رحمه
الله وقرأت على الشيخ أبي طاهر أحمد بن الحسن
ابن أحمد بن خذاداذ الكرجي الباقلاني قال
وأجاز لنا الشيخ الأجل أبو الفضل أحمد بن الحسن
ابن خيرون قالا أخبرنا أبو علي الحسن بن أحمد
بن إبراهيم بن الحسن بن محمد بن شاذان انا ابو جعفر
ابن معدان الفارسي قراءة مني عليه فأقر به
قال أخبرنا أبو محمد الحسن بن محمد بن يحيى
ابن الحسن بن جعفر عن عبد الله بن الحسين بن علي بن
الحسين بن علي بن أبي طالب المعروف بابن أخي

طاهر

طاهر العلوي قال حدثنا إسماعيل بن محمد بن
إسحاق بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن أخيه
موسى بن جعفر عن جعفر بن محمد عن أبيه محمد بن علي
عن علي بن الحسين قال الحسن بن علي واللفظ بهذا
الإسناد سألت خالي هند بن أبي هالة عن حلية
رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان وصافا
وأنا أرجو أن يصف لي منها شيئا أتعلق به
قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم فخما
مفخما يتلألأ وجهه تلألؤ القمر ليلة البدر
أطول من المربوع وأقصر من المشذب عظيم الهامة
رجل الشعر إن انفرقت عقيقته فرق وإلا فلا
يجاوز شعره شحمة أذنيه إذا هو وفره أزهر اللون
واسع الجبين أزج الحواجب سوابغ من غير قرن
بينهما عرق يدره الغضب أقنى العرنين له نور يعلوه
يحسبه من لم يتأمله أشم كث اللحية أدعج
سهل الخدين ضليع الفم أشنب مفلج الأسنان
دقيق المسربة كأن عنقه جيد دمية في صفاء
الفضة معتدل الخلق بادن متماسك سواء
البطن والصدر فسيح الصدر بعيد ما بين المنكبين

ضخم الكراديس أنور المتجرد موصول ما بين اللبة
والسرة بشعر يجري كالخط عاري الثديين والبطن
ما سوى ذلك أشعر الذراعين والمنكبين وأعالي
الصدر طويل الزندين رحب الراحة شثن الكفين
والقدمين سائل الأطراف أو قال سائن الأطراف
في وسائر الأطراف شبه العصب خمصان
الأخمصين مسيح القدمين ينبو عنهما الماء إذا زال
زال تقلعا ويخطو تكفؤا ويمشي هونا ذريع
المشية إذا مشى كأنما ينحط من صبب وإذا التفت
التفت جميعا خافض الطرف نظره إلى الأرض
أطول من نظره إلى السماء جل نظره الملاحظة
يسوق أصحابه ويبدأ من لقيه بالسلام **قلت**
له صف لي منطقه قال كان عليه السلام متواصل
الأحزان دائم الفكرة ليست له راحة ولا يتكلم في غير
حاجة طويل السكوت يفتتح الكلام ويختمه بأ
شداقه ويتكلم بجوامع الكلم فصلا لا فضول
فيه ولا تقصير دمثا ليس بالجافي ولا المهين
يعظم النعمة وإن دقت لا يذم شيئا لم يكن يذم
ذواقا ولا يمدحه ولا تقوم لغضبه إذا تعرض

للحق

للحق شيء حتى ينتصر له ولا يغضب لنفسه
ولا ينتصر لها إذا أشار أشار بكفه كلها وإذا
تعجب قلبها وإذا تحدث اتصل بها وضرب بإ
بهامه اليمنى راحة اليسرى وإذا غضب أعرض
وأشاح وإذا فرح غض طرفه جل ضحكه التبسم
ويفتر عن مثل حب الغمام **قال** الحسن
فكتمتها الحسين بن علي زمانا ثم حدثته فو
جدته قد سبقني إليه فسأل أباه عن مدخل
رسول الله صلى الله عليه وسلم ومخرجه وملبسه
ومجلسه وشكله فلم يدع منه شيئا قال الحسين
سألت أبي عليه السلام عن دخول رسول الله
صلى الله عليه وسلم فقال كان دخوله لنفسه
مأذونا له في ذلك فكان إذا أوى إلى منزله جزأ
دخوله ثلاثة أجزاء جزء لله تعالى وجزء لأهله
وجزء لنفسه ثم جزأ جزءه بينه وبين الناس
فيرد ذلك بالعامة على الخاصة ولا يدخر
عنهم شيئا فكان من سيرته في جزء الأمة إيثار
أهل الفضل بإذنه وقسمه على قدر فضلهم في الد
ين فمنهم ذو الحاجة ومنهم ذو الحاجتين ومنهم ذو

الحوائج فيتشاغل بهم ويشغلهم فيما أصلحهم
والأمة من مسألته عنهم وإخبارهم بالذي ينبغي لهم
ويقول ليبلغ الشاهد منكم الغائب وأبلغوني حا
جة من لا يستطيع إبلاغي حاجته فإنه من أبلغ
سلطانا حاجة من لا يستطيع إبلاغها ثبت الله
قدميه يوم القيامة لا يذكر عنده إلا ذلك ولا يقبل
من أحد غيره قال في حديث سفيان بن وكيع يدخلون
روادا ولا يفترقون إلا عن ذواق ويخرجون أدلة
يعني فقهاء قلت فأخبرني عن مخرجه كيف كان
يصنع فيه قال كان رسول الله صلى الله عليه
وسلم يخزن لسانه إلا فيما يعنيهم ويؤلفهم
ولا ينفرهم ويكرم كريم كل قوم ويوليه عليهم ويحذر
الناس ويحترس منهم من غير أن يطوي عن أحد بشره
وخلقه ويتفقد أصحابه ويسأل الناس عما في الناس
ويحسن الحسن ويقويه ويقبح القبيح ويوهنه
معتدل الأمر غير مختلف لا يغفل مخافة أن يغفلوا
أو يملوا لكل حال عنده عتاد لا يقصر عن الحق ولا
يجاوزه إلى غيره الذين يلونه من الناس خيارهم
وأفضلهم عنده أعمهم نصيحة وأعظمهم عنده منزلة

أحسنهم

أحسنهم مواساة وموازرة فسألته عن مجلسه
عما كان يصنع فيه فقال كان رسول الله صلى
الله عليه وسلم لا يجلس ولا يقوم إلا على ذكر ولا
يوطن الأماكن وينهى عن إيطانها وإذا انتهى
إلى القوم جلس حيث ينتهي به المجلس ويأمر بذلك
ويعطي كل جلسائه نصيبه حتى لا يحسب جليسه
أن أحدا أكرم عليه منه من جالسه أو فاوضه لحا
جة صابره حتى يكون هو المنصرف عنه من سأله
حاجة لم يرده إلا بها أو بميسور من القول قد
وسع الناس بسطه وخلقه فصار لهم أبا وصاروا
عنده في الحق متقاربين متفاضلين فيه بالتقوى
وفي الرواية الأخرى وصاروا عنده في الحق سواء
مجلسه مجلس حلم وحياء وصبر وأمانة لا ترفع
فيه الأصوات ولا تؤبن فيه الحرم ولا تنثى فلتاته
وفي الكلمة من غير الروايتين يتعاطفون فيه
بالتقوى متواضعين يوقرون فيه الكبير ويرحمون
الصغير ويرفدون ذا الحاجة ويحفظون الغريب فسأ
لته عن سيرته صلى الله عليه وسلم في جلسائه فكان
عليه السلام دائم البشر سهل الخلق لين الجانب

ليس بفظ ولا غليظ ولا سخاب ولا فحاش ولا
عياب ولا مداح يتغافل عما لا يشتهي ولا يؤيس
منه قد ترك نفسه من ثلاث المراء والإكبار وما
لا يعنيه وترك الناس من ثلاث كان لا يذم أحدا
ولا يعيبه ولا يطلب عورته ولا يتكلم إلا فيما رجى
ثوابه إذا تكلم أطرق جلساؤه كأنما على
رؤوسهم الطير وإذا سكت تكلموا لا يتنازعون
عنده الحديث من تكلم عنده أنصتوا له حتى يفرغ
حديثهم حديث أولهم يضحك مما يضحكون منه ويتعجب
مما يتعجبون منه ويصبر للغريب على الجفوة في المنطق
ويقول إذا رأيتم صاحب الحاجة يطلبها فارفدوه
ولا يطلب الثناء إلا من مكافئ ولا يقطع على أحد
حديثه حتى يجوزه فيقطعه بانتهاء أو قيام
هنا انتهى حديث سفيان بن وكيع والآخر قلنا
كيف كان سكوته صلى الله عليه وسلم قال كان
سكوته على أربع على الحلم والحذر والتقدير
والتفكر فأما تقديره ففي تسوية النظر والاستماع
بين الناس وأما تفكره ففيما يفنى ويبقى وجمع له
الحلم صلى الله عليه وسلم في الصبر وكان لا يغضبه

شيء

شيء يستفزه وجمع له في الحذر أربع أخذه بالحسن
ليقتدى به وتركه القبيح لينتهى عنه واجتهاده
الرأي فيما أصلح أمته والقيام لهم فيما جمع لهم أمر
الدنيا والآخرة صلى الله عليه وسلم ورضي عن
أصحابه أجمعين

فصل

في تفسير غريب هذا الحديث ومشكله فقوله
المشذب أي البائن الطويل في نحافة وهو مثل قوله
في الحديث الآخر ليس بالطويل الممغط والـ
شعر الرجل الذي كأنه مشط فتكسر قليلا ليس
بسبط ولا جعد والعقيقة شعر الرأس أراد أي
إن انفرقت من ذات نفسها فرقها وإلا تركها معقوصة
ومن روى عقيصته وأزهر اللون نيره وقيل
أزهر حسن ومنه زهرة الحياة الدنيا وزينتها
وهذا كما قال في الحديث الآخر ليس بالأبيض
الأمهق ولا بالآدم والأمهق الناصع البياض
والآدم الأسمر اللون ومثله في الحديث الآخر
أبيض مشرب أي فيه حمرة والحاجب الأزج المقوس
الطويل الوافر الشعر والأقنى السائل الأنف

الدم تقع وسطه والأسل الطويل قصبة الأنف
والقنو ايتصال شعر الحاجبين وضده البلج وو
قع به حرتيها أي منخريها وضبط بالفتح والأذنج
التثنية سواد الحرفة وفي العروض الأخضر
أشكل البعير وأشكل البعير وهو أيضا بياضها
حمرة والضليع الواسع والشنب رونق الأسنان
وماؤها وقيل رقتها وتحزيز فيها كما يوجد في
أسنان الشباب والفلج بعد بين الثنايا وفرق
المسربة خيط الشعر الذي بين الصدر والسرة بالـ
بين خده ومتنها بسيط معتدل الخلق يمسك
بعضه بعضا مثل قوله في الحديث الآخر ليس
بالمطهم ولا بالمكلثم أي ليس بمنتفخ الوجه
والمكلثم القصير الرقيق وسواء البطن والصدر
أي مستويهما ومشيح الصدر له جمت تعزل
للبطنة فتكون من الأقبال وهو أحد معاني أوضاح
أي أنه كان أبادي الصدر ولم يكن به ضرر فعكس
وهو تقدم فيه وبه يتضح قوله قبل سواء
البطن والصدر أي ليس متقاعس الصدر ولا مقبلا
في البطن ولعل البطنة مشيح بالسين وفتح الميم

المعنى

بمعنى عريض كما وقع في الرواية الأخرى وقال
أبو عبيد والكراديس رؤوس العظام وهو مثل
قوله في الحديث الآخر جليل المشاش والكتد
والمشاش رؤوس المناكب والكتد مجتمع الكتفين
وشثن الكفين والقدمين يعني غليظهما والزند عظما
الذراعين وسائل الأطراف أي طويل الأصا
بع وذكر ابن الأنباري أنه روى سائل الأطراف
أو قال سائن بالنون قال وهما بمعنى وإن شئت
اللام والنون أن تمت الرواية بهما وأما على الروا
ية الأخرى وسائر الأطراف فإشارة إلى فخامة
جوارحه كما وقعت مفصلة في الحديث ورحب
الراحة أي واسعها وقيل كنى به عن سعة العطاء
والجود وخمصان الأخمصين أي متجافي أخمص القدم
وهو الموضع الذي لا يناله الأرض من وسط
القدم ومسيح القدمين أي أملسهما ولهذا قال
ينبو عنهما الماء وفي حديث أبي هريرة
خلاف هذا قال فيه إذا وطئ بقدمه وطئ
بكلها ليس له أخمص وهذا يوافق معنى قوله
مسيح القدمين وبه قالوا سمي المسيح ابن مريم

أي لم يكن له أخمص وقيل فسيح لا لحم عليهما وهذا
أيضا يخالف قوله شثن القدمين والتقلع رفع
الرجل بقوة والتكفؤ الميل إلى سنن المشي وقصده
والهون الرفق والوقار والذريع الواسع الخطو
أي أن مشيه كان يرفع فيه رجليه بسرعة ويمد
خطوه بخلاف مشية المختال ويقصد سمته وكل
ذلك برفق وتثبت دون عجلة كما قال كأنما
ينحط من صبب وقوله يفتتح الكلام ويختمه بأ
شداقه أي لسعة فمه والعرب تتمادح بهذا
وتذم بصغر الفم وأشاح مال وانقبض وحب
الغمام البرد وقوله فيرد ذلك بالخاصة
على العامة أي جعل من جزء نفسه ما يوصل الخا
صة إليه فتوصل عنه للعامة وقيل يجعل منه
للخاصة ثم يبدلها في جزء آخر للعامة ويدخلون
روادا أي محتاجين إليه وطالبين لما عنده ولا
يتفرقون إلا عن ذواق قيل عن علم يتعلمونه
ويشبه أن يكون على ظاهره أي في الغالب والأ
كثر والعتاد العدة والسوى الحالي المعتدل والمو
ازرة المعاونة وقوله لا يوطن الأماكن أي لا يتخذ

لمصلاه

لمصلاه موضعا معلوما وقد ورد نهيه عن هذا
مفسرا أي غير هذا الحديث وصابره أي حبس نفسه
على ما يريد صاحبه ولا تؤبن فيه الحرم أي لا
تُرمى بسوء ولا تنثى فلتاته أي يتحدث بها
أي لم تكن فيه فلتة وإن كانت من أحد سترت ولم
يذكروا يعيبون والصخاب الكثير الصياح وقوله
ولا يقبل الثناء إلا من مكافئ قيل من مقتصد في
ثنائه ومدحه وقيل إلا من مسلم وقيل إلا من
مكافئ على يد سبقت من النبي صلى الله عليه
وسلم له ويستفزه أي قليل الحفظ والأعراب الأشعا
ر أي طويل شعرها.

الباب الثالث

فيما ورد من صحيح الأخبار ومشهورها بعظيم
قدره عند ربه ومنزلته وما خصه به في الدارين
من كرامته عليه السلام لا خلاف أنه صلوات
الله وسلامه عليه أكرم البشر وسيد ولد آدم
وأفضل الناس منزلة عند الله عز وجل وأعلاهم
درجة وأقربهم زلفى واعلم أن من الأحادي
ث الواردة في ذلك كثيرة جدا وقد اقتصرنا

منها على صحيحها ومشهورها وجمعنا معاني
ما ورد منها في اثني عشر فصلا .

الفصل الاول

فيما ورد من ذكر مكانته عند ربه والاصطفاء
ورفعة الذكر والتفضيل وسيادة ولد ادم وما
خصه به في الدنيا من مزايا الرتب وبركة اسمه
الطيب أخبرنا الشيخ ابو محمد عبد الله بن احمد
العدل اذنا بلفظه قال ثنا ابو الحسن الفرغاني
حدثتنا ام القاسم بنت ابي بكر بن يعقوب عن
ابيها نا حاتم وهو ابن عقيل عن يحيى وهو ابن اسما
عيل عن يحيى الحماني نا قيس عن الاعمش عن عباية
بن ربعي عن ابن عباس رضي الله عنه قال قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم ان الله قسم الخلق
قسمين فجعلني من خيرهم قسما فذلك قوله عز وجل
اصحاب اليمين واصحاب الشمال فانا من اصحاب اليمين
وانا خير اصحاب اليمين ثم جعل القسمين اثلاثا فجعلني
في خيرها ثلثا وذلك قوله واصحاب الميمنة ما ا
صحاب الميمنة واصحاب المشئمة ما اصحاب المشئمة
والسابقون السابقون فانا من السابقين وانا خير

السابقين

السابقين ثم جعل الاثلاث قبائل فجعلني من
خيرهم قبيلة وذلك قوله وجعلناكم شعوبا الا
ية فانا اتقى ولد ادم واكرمهم على الله ولا فخر
ثم جعل القبائل بيوتا فجعلني من خيرهم بيتا
فذلك قوله انما يريد الله ان يذهب عنكم الرجس
اهل البيت الاية وعن ابي سلمة عن ابي هريرة قا
ل قالوا يا رسول الله متى وجبت لك النبوءة
قال وادم بين الروح والجسد وعن واثلة
بن الاسقع قال قال عليه السلام ان الله
اصطفى من ولد ابراهيم اسماعيل واصطفى من
ولد اسماعيل بني كنانة واصطفى من بني كنانة
قريشا واصطفى من قريش بني هاشم واصطفا
ني من بني هاشم ومن حديث انس انا اكرم ولد
ادم على ربي ولا فخر وفي حديث ابن عباس انا
اكرم الاولين والاخرين ولا فخر وعن عائشة
رضي الله عنها عنه عليه السلام اتاني جبريل
فقال قلبت مشارق الارض ومغاربها فلم ار
رجلا افضل من محمد صلى الله عليه وسلم
ولم ار بني اب افضل من بني هاشم وعن انس

ان النبي صلى الله عليه وسلم أتي بالبراق ليلة
اسري به فاستصعب عليه فقال له جبريل ابمحمد
تفعل هذا فما ركبك احد اكرم على الله منه فا
رفض عرقا وعن ابن عباس رضي الله عنه لما
خلق الله ادم اهبطني الى الارض في صلبه وجعلني
في صلب نوح في السفينة وقذف بي في النار في صلب
ابراهيم ثم لم يزل ينقلني في الاصلاب الكريمة الى
الارحام الطاهرة حتى اخرجني من بين ابوي لم
يلتقيا على سفاح قط والى هذا اشار العباس
بن عبد المطلب عمه بقوله •

من قبلها طبت في الظلال وفي • مستودع حيث يخصف الورق
ثم هبطت البلاد لا بشر • انت ولا مضغة ولا علق
بل نطفة تركب السفين وقد • الجم نسرا واهله الغرق
تنقل من صالب الى رحم • اذا مضى عالم بدا طبق
حتى احتوى بيتك المهيمن •

خندف

• خندف علياء تحتها النطق
وانت لما ولدت اشرقت الارض • وضاءت بنورك الافق
فنحن في ذلك الضياء وفي • النور وسبل الرشاد نخترق

وروي عنه عليه الصلاة والسلام ابو ذر
وابن عمر وابن عباس وابو هريرة وجابر بن عبد
الله انه صلى الله عليه وسلم قال اعطيت
خمسا وفي بعضها ستا لم يعطهن نبي قبلي نصرت
بالرعب مسيرة شهر وجعلت لي الارض مسجدا
وطهورا وايما رجل من امتي ادركته الصلاة
فليصل واحلت لي الغنائم ولم تحل لنبي قبلي
وبعثت الى الناس كافة واعطيت الشفاعة
وفي رواية بدل هذه الكلمة وقيل لي سل
تعطه وفي رواية اخرى وعرض علي امتي فلم يخف
علي التابع من المتبوع وفي رواية بعثت الى
الاحمر والاسود قيل السواد العرب لان الغالب
على الوانهم الادمة وغيرهم من السود والحمر
العجم وقيل البيض والسود من الامم وقيل الاحمر الا

نبي والسود الجروبة الحرب الاحمر عرابه نعم بهلة
نصرت بالرعب واوتيت جوامع الكلم وبينا
انا نايم اذ جيء بمفاتيح خزاين الارض فو
ضعت في يدي وفي رواية عنه وختم بي النبيئون
وعن عقبة بن عامر انه قال صلى الله عليه
وسلم اني فرط لكم على الحوض وانا شهيد
عليكم واني والله لانظر الى حوضي الان واني
قد اعطيت مفاتيح خزاين الارض واني والله ما
اخاف عليكم ان تشركوا بعدي ولكن اخاف
عليكم ان تنافسوا فيها وعن عبد الله بن
عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
انا محمد النبي الامي لا نبي بعدي واوتيت
جوامع الكلم وخواتمه وعلمت خزنة النار
وحملة العرش وعن ابن عمر بعثت بين يدي السا
عة وفي رواية ابن وهب انه صلى الله عليه وسلم
قال قال الله تعالى سل يا محمد فقلت يا رب
ما اسل اتخذت ابراهيم خليلا وكلمت موسى
تكليما واصطفيت نوحا واعطيت سليمان
ملكا لا ينبغي لاحد من بعده فقال الله تعالى

ما اعطيتك

ما اعطيتك الكوثر وجعلت اسمك مع اسمي ينا
دى به في جوف السماء وجعلت الارض طهورا
لك ولامتك وغفرت لك ما تقدم من ذنبك وما
تاخر فانت تمشي في الناس مغفورا لك ولم
اصنع ذلك لاحد قبلك وجعلت قلوب امتك
مصاحفها وخبات لك شفاعتك ولم اخبأها
لنبي غيرك وفي حديث اخر رواه حذيفة بشرني
يعني ربه اول من يدخل الجنة معي من امتي سبعون
الفا مع كل الف سبعون الفا ليس عليهم حسا
ب واعطاني ان لا تجوع امتي ولا تغلب واعطا
ني النصر والعزة والرعب يسعى بين يدي امتي
شهرا وطيب لي ولامتي الغنايم واحل لنا كثيرا
مما شدد على من قبلنا ولم يجعل علينا في الدين
من حرج وعن ابي هريرة رضي الله عنه عنه
عليه الصلاة والسلام ما من نبي من الانبياء الا
وقد اعطي من الايات ما مثله امن عليه البشر وانما
كان الذي اوتيت وحيا اوحى الله الي فارجوا ان
اكون اكثرهم تابعا يوم القيمة معنى هذا عند
المحققين بقاء معجزته ما بقيت الدنيا وسائر معجزات

الانبياء اذ بعث للجميع ولم يبشر بهما الا الحمد
ض لها ومنعهم ثم [illegible] ان يقف عليها فمن بعد
فمن عيانا لا جرا الى يوم القيمة وفيه كلام
يطول سنا نحبشه وقد بسطنا القول فيه وفيما
نذكر فيه يسرى سنراه اخر باب المعجزات وعن علي
كل نبي اعطي سبعة نجباء من امته واعطي
نبيكم اربعة عشر نجيبا منهم ابو بكر وعمر وابن مسعود
وعمار وقال صلى الله عليه وسلم ان الله قد
حبس عن مكة الفيل وسلط عليها رسوله والمؤ
منين وانها لم تحل لاحد بعدي وانما احلت لي
ساعة من نهار وعن العرباض بن سارية سمعت
رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اني عبد
الله وخاتم النبيين وان ادم لمنجدل في طينته
وعدة ابي ابراهيم وبشارة عيسى بن مريم وعن ابن
عباس قال ان الله تعالى فضل محمدا صلى الله
على اهل السماوات وعلى الانبياء صلوات الله
عليهم قالوا فما فضله على اهل السماء قال ان
الله قال لاهل السماوات ومن يقل منهم اني اله
من دونه الاية وقال لمحمد انا فتحنا لك فتحا مبينا

الاية



الاية قالوا فما فضله على الانبياء قال ان
الله تعالى قال وما ارسلنا من رسول الا بلسا
ن قومه ليبين لهم الاية وقال لمحمد وما ار
سلناك الا كافة للناس وعن خالد بن معدان
ان نفرا من اصحاب رسول الله صلى الله عليه
وسلم قالوا يا رسول الله اخبرنا عن نفسك
وقد روي نحوه عن ابي ذر وشداد بن اوس وا
نس بن مالك فقال نعم انا دعوة ابي ابراهيم
يعني قوله ربنا وابعث فيهم رسولا منهم
وبشرى عيسى ورأت امي حين حملت بي انه خرج
منها نور اضاء له قصور بصرى من ارض الشام
واسترضعت في بني سعد بن بكر فبينا انا مع
اخ لي خلف بيوتنا نرعى بهما لنا اذ جاءني رجلان
عليهما ثياب بيض وفي حديث اخر ثلاثة رجال
بطست من ذهب مملوءة ثلجا فاخذاني فشقا بطني
وقلبي وقال في غير هذا الحديث من نحري الى مراق
بطني ثم استخرجا منه قلبي فشقاه فاستخرجا منه
علقة سوداء فطرحاها ثم غسلا قلبي وبطني
بذلك الثلج حتى انقياه قال في حديث اخر ثم

ثم تناول أخرى بيمناه فإذا الخاتم في يده من نور
يحار الناظر دونه فختم به قلبي فامتلأ إيمانا
وحكمة ثم أعاده مكانه وأمر الآخر يده على صدري
فالتأم وفي رواية أن جبريل عليه
السلام قال قلب وكيع أي شديد فيه عينان تبصرا
ن وأذنان تسمعان ثم قال لصاحبه زنه بعشرة
من أمته فوزنته فوزنهم ثم قال زنه بمائة من
أمته فوزنته فوزنهم ثم قال زنه بألف من
أمته فوزنته فوزنهم ثم قال دعه فلو وز
نته بأمته كلها لوزنها قال في الحديث الآ
خر ثم ضموني إلى صدورهم وقبلوا رأسي وما بين عيني
ثم قالوا يا حبيب لم ترع إنك لو تدري ما يراد بك
من الخير لقرت عيناك وفي بقية هذا الحديث من قولهم
ما أكرمك على الله إن الله معك وملائكته قال
في حديث أبي ذر فما هو إلا أن وليا عني فكأنما
أرى الأمر معاينة وحكى أبو محمد مكي وأبو
الليث السمرقندي وغيرهما أن آدم عند معصيته
قال اللهم بحق محمد اغفر لي خطيئتي ويروى
تقبل توبتي فقال الله تعالى له من أين عرفت محمدا

قال

V.19

قال رأيت في كل موضع من الجنة مكتوبا لا إله
إلا الله محمد رسول الله ويروى محمد عبدي ورسولي
فعلمت أنه أكرم خلقك عليك فتاب الله عليه
وغفر له وهذا عند قائله تأويل قوله تعالى فتلقى
آدم من ربه كلمات فتاب عليه وفي رواية
أخرى فقال آدم لما خلقتني رفعت رأسي إلى
عرشك فإذا فيه مكتوب لا إله إلا الله محمد رسول
الله فعلمت أنه ليس أحد أعظم قدرا عندك ممن جعلت
اسمه مع اسمك فأوحى الله إليه وعزتي وجلالي
إنه لآخر النبيين من ذريتك ولولاه ما خلقتك
قال وكان آدم يكنى بأبي محمد وقيل بأبي البشر
ويروى عن سريج بن يونس أنه قال إن لله ملائكة
سياحين عبادتهم كل دار فيها محمد أو أحمد
إكراما منهم لمحمد صلى الله عليه وسلم وروى ابن
قانع القاضي عن أبي الحمراء قال قال عليه الصلاة
والسلام لما أسري بي إلى السماء إذا على العرش
مكتوب لا إله إلا الله محمد رسول الله أيدته بعلي
وفي التفسير عن ابن عباس في قوله تعالى وكان تحته
كنز لهما قال لوح من ذهب مكتوب عجبا لمن أيقن

بالقمر كيف ينصب عجبا لمن ايقن بالنار كيف يضحك
عجبا لمن رأى الدنيا وتقلبها باهلها كيف يطمئن
إليها انا الله لا اله الا انا محمد عبدي ورسولي
وعن ابن عباس على باب الجنة مكتوب انني انا
الله لا اله الا انا محمد رسول الله لا اعذب من قالها
من قالها وذكر انه وجد على الحجارة القديمة
مكتوبا لا اله الا الله محمد رسول الله تقي مصلح وسيد
امين وذكر السهيلي انه شاهد في بعض بلاد
خراسان مولودا ولد مكتوبا على جبهته لا اله
الا الله وعلى الآخر محمد رسول الله وذكر الاخبار
يون ان ببلاد الهند وردا احمر مكتوبا عليه با
لابيض لا اله الا الله محمد رسول الله وروي عن
جعفر بن محمد عن ابيه انه اذا كان يوم القيامة نادى
مناد الا ليقم من اسمه محمد فليدخل الجنة لكرامة
اسمه عليه السلام وروى ابن القاسم في سماعه
وابن وهب في جامعه عن مالك سمعت اهل مكة
يقولون ما من بيت فيه اسم محمد الا نما ورزقوا
ورزق جيرانهم وعنه عليه السلام ما ضر احدكم
ان يكون في بيته محمد ومحمدان وثلاثة وعن عبد

الله

الله بن مسعود ان الله نظر الى قلوب العباد
فاختار منها قلب محمد عليه السلام فاصطفا
ه لنفسه فبعثه برسالته وذكر النقاش ان النبي
صلى الله عليه وسلم لما نزلت وما كان لكم ان
تؤذوا رسول الله ولا ان تنكحوا من بعده ازواجا
الآية قام خطيبا فقال يا معشر اهل الايمان
ان الله فضلني عليكم تفضيلا وفضل نسائي على
نسائكم تفضيلا الحديث صلى الله عليه وعلى
آله وصحبه وسلم تسليما

فصل

في تفضيله بما تضمنته كرامة الاسراء من المنا
جات والرؤية وامامة الانبياء والعروج به
الى سدرة المنتهى وما رأى من آيات ربه الكبرى ومن
خصائصه عليه الصلاة والسلام قصة الاسراء
وما انطوت عليه من درجات الرفعة مما نبه عليه
الكتاب العزيز وشرحته صحاح الاخبار قال الله
تعالى سبحان الذي اسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام الآية
وقال والنجم اذا هوى الى قوله لقد رأى من آيات
ربه الكبرى فلا خلاف بين المسلمين في صحة الاسراء

به عليه السلام فيه اذ نحن نقصد الغزوات وجاءت
بتفصيله وشرح عجائبه وخواص نبينا محمد عليه
السلام فيه احاديث كثيرة منتشرة رأينا ان نقدم
اكملها وتتميم الجزء فائدة ورغبة في محبة ذكرها
حدثنا القاضي الشهير ابو علي والفقيه
ابو بكر بسماعي عليهما والقاضي ابو عبد الله التميمي
وغير واحد من شيوخنا قالوا اخبرنا ابو العباس
العذري انا ابو العباس الرازي انا ابو احمد
الجلودي نا ابن سفيان انا مسلم بن الحجاج
انا شيبان بن فروخ ثنا حماد بن سلمة نا
ثابت البناني عن انس بن مالك ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال اتيت بالبراق وهو
دابة ابيض طويل فوق الحمار ودون البغل يضع
حافره عند منتهى طرفه قال فركبته حتى اتيت
بيت المقدس فربطته بالحلقة التي تربط بها
الانبياء ثم دخلت المسجد فصليت فيه ركعتين
ثم خرجت فجاءني جبريل باناء من خمر واناء من لبن فا
خترت اللبن فقال جبريل اخترت الفطرة ثم عرج
بنا الى السماء فاستفتح جبريل فقيل من انت قال

قال جبريل

قال جبريل قيل ومن معك قال محمد قيل وقد بعث
اليه قال قد بعث اليه ففتح لنا فاذا انا بآد
م صلى الله عليه وسلم فرحب بي ودعا لي بخير
ثم عرج بنا الى السماء الثانية فاستفتح جبريل
فقيل من انت قال جبريل قيل ومن معك قال محمد
قيل وقد بعث اليه قال قد بعث اليه ففتح
لنا فاذا انا بابني الخالة عيسى بن مريم ويحيى
ابن زكرياء صلى الله عليهما فرحبا بي ودعوا لي
بخير ثم عرج بنا الى السماء الثالثة فذكر مثل الاول
ففتح لنا فاذا انا بيوسف صلى الله عليه وسلم
واذا هو قد اعطي شطر الحسن فرحب بي ودعا لي
بخير ثم عرج بنا الى السماء الرابعة وذكر مثله فـ
اذا انا بادريس فرحب بي ودعا لي بخير قال الله
ورفعناه مكانا عليا ثم عرج بنا الى السماء
الخامسة فذكر مثله فاذا انا بهارون فرحب بي
ودعا لي بخير ثم عرج بنا الى السماء السادسة
فذكر مثله فاذا انا بموسى فرحب بي ودعا لي بخير
ثم عرج بنا الى السماء السابعة فذكر مثله فاذا انا
بابراهيم مسندا ظهره الى البيت المعمور واذا

هو يدخله كل يوم سبعون ألف ملك لا يعودون
إليه ثم ذهب بي إلى سدرة المنتهى فإذا ورقها
كآذان الفيلة وإذا ثمرها كالقلال فلما غشيها
من أمر الله ما غشي تغيرت فما أحد من خلق الله
يستطيع أن ينعتها من حسنها فأوحى الله إلي
ما أوحى ففرض علي خمسين صلاة في كل يوم وليلة
فنزلت إلى موسى فقال ما فرض ربك على أمتك
قلت خمسين صلاة قال ارجع إلى ربك فاسأله
التخفيف فإن أمتك لا يطيقون ذلك فإني قد
بلوت بني إسرائيل وخبرتهم قال فرجعت إلى ربي
فقلت يا رب خفف على أمتي فحط عني خمسا فرجعت
إلى موسى فقلت حط عني خمسا قال إن أمتك لا
يطيقون ذلك فارجع إلى ربك فاسأله التخفيف
قال فلم أزل أرجع بين ربي تعالى وبين موسى حتى
قال يا محمد إنهن خمس صلوات كل يوم وليلة
لكل صلاة عشر فتلك خمسون صلاة ومن هم
بحسنة فلم يعملها كتبت له حسنة فإن عملها
كتبت له عشرا ومن هم بسيئة فلم يعملها لم تكتب
عليه شيئا فإن عملها كتبت سيئة واحدة قال

فنزلت

فنزلت حتى انتهيت إلى موسى فأخبرته فقال
ارجع إلى ربك فاسأله التخفيف فقال رسول
الله صلى الله عليه وسلم فقلت قد رجعت إلى
ربي حتى استحييت منه قال القاضي رضي الله
عنه جود ثابت رحمه الله هذا الحديث عن أنس
ما شاء فلم يأت أحد عنه بأصوب من هذا وقد
خلط فيه غيره عن أنس تخليطا كثيرا لا سيما
من رواية شريك بن أبي نمر فقد ذكر في أوله مجيء الملك
له وشق بطنه وغسله بماء زمزم وهذا إنما كان
وهو صبي وقبل الوحي وقد قال شريك في حديثه
وذلك قبل أن يوحى إليه وذكر قصة الإسراء
ولا خلاف أنها كانت بعد الوحي وقد قال غير
واحد أنها كانت قبل الهجرة بسنة وقيل قبل
هذا وقد روى ثابت عن أنس من رواية حماد بن
سلمة أيضا مجيء جبريل إلى النبي صلى الله عليه
وسلم وهو يلعب مع الغلمان عند ظئره
وشق قلبه تلك القصة مفردة من حديث الإسراء
كما رواه الناس فجود في القصتين وفي أن الإسراء
إلى بيت المقدس وإلى سدرة المنتهى كان قصة

واحدة وانه وصل الى بيت المقدس ثم عرج من ثمّ لما
فما زاح كل اشكال او بعضه عنهما وقد روى يونس
عن ابن شهاب عن انس قال كان ابو ذر يحدث ان ر
سول الله صلى الله عليه وسلم قال فرج سقف
بيتي فنزل جبريل ففرج صدري ثم غسله من ماء
زمزم ثم جاء بطست من ذهب ممتلئ حكمة وايمانا
فافرغها في صدري ثم اطبقه ثم اخذ بيدي فعرج بي
الى السماء فذكر القصة وقد روى قتادة الحديث
بمثله عن انس عن مالك بن صعصعة وفيهما تقديم
وتاخير وزيادة ونقص وخلاف في ترتيب الانبياء
في السماوات وحديث ثابت عن انس اتقن واجود
وقد وقعت في حديث الاسراء زيادات نذكر منها
نكتا مفيدة في غرضنا منها في حديث ابن شهاب
وفيه قول كل نبي له مرحبا بالنبي الصالح والاخ
الصالح الا ادم وابراهيم فقالا له والابن الصالح
وفيه من طريق ابن عباس ثم عرج بي حتى ظهرت
لمستوى اسمع فيه صريف الاقلام وعن انس ثم
انطلق بي حتى اتيت سدرة المنتهى فغشيها الوا
ن لا ادري ما هي قال ثم ادخلت الجنة وفي حديث

مالك

مالك بن صعصعة فلما جاوزته يعني موسى بكى
فنودي ما يبكيك قال رب هذا غلام بعثته بعدي
يدخل من امته الجنة اكثر مما يدخل من امتي وفي
حديث ابي هريرة وقد رايتني في جماعة من الانبياء
فحانت الصلاة فاممتهم فقال قائل يا محمد هذا
مالك خازن النار فسلم عليه فالتفت فبداني
بالسلام وفي حديث ابي هريرة ثم سار حتى اتى
بيت المقدس فنزل فربط فرسه الى صخرة فصلى مع
الملائكة فلما قضيت الصلاة قالوا يا جبريل
من هذا معك قال هذا محمد رسول الله خاتم
النبيين قالوا وقد ارسل اليه قال نعم قالوا
حياه الله من اخ وخليفة فنعم الاخ ونعم الخليفة
ثم لقوا ارواح الانبياء فاثنوا على ربهم وذ
كر كلام كل واحد منهم وهم ابراهيم وموسى
وعيسى وداود وسليمان ثم ذكر كلام النبي صلى
الله عليه وسلم فقال وان محمدا صلى الله عليه
وسلم اثنى على ربه فقال وكلكم اثنى على ربه وانا
اثني على ربي الحمد لله الذي ارسلني رحمة للعالمين
وكافة للناس بشيرا ونذيرا وانزل علي الفرقان

فيه تبيان كل شيء، وجعل أمتي خير أمة أخرجت
للناس وجعل أمتي أمة وسطا وجعل أمتي هم
الأولون وهم الآخرون وشرح لي صدري ووضع
عني وزري ورفع لي ذكري وجعلني فاتحا وخاتما
فقال إبراهيم بهذا فضلكم محمد ثم ذكر أنه عرج
به إلى السماء الدنيا ومن سماء إلى سماء نحو ما تقدم
وفي حديث ابن مسعود وانتهى به إلى سدرة المنتهى
وهي في السماء السادسة إليها ينتهي ما يعرج به
من الأرض فيقبض منها وإليها ينتهي ما يهبط به
من فوقها فيقبض منها قال إذ يغشى السدرة
ما يغشى قال فراش من ذهب وفي رواية أبي هريرة
من طريق الربيع بن أنس فقيل لي هذه سدرة المنتهى
ينتهي إليها كل أحد من أمتك خلا على سبيلك
وهي السدرة المنتهى يخرج من أصلها أنهار من ماء غير
آسن وأنهار من لبن لم يتغير طعمه وأنهار من
خمر لذة للشاربين وأنهار من عسل مصفى وهي
شجرة يسير الراكب في ظلها سبعين عاما وإن
ورقة منها مظلة الخلق فغشيها نور وغشيتها
الملائكة قال فهو قوله إذ يغشى السدرة ما يغشى

وعن أنس قال قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم بينا أنا قاعد ذات يوم إذ دخل جبريل
عليه السلام فوكز بين كتفي فقمت إلى شجرة فيها
مثل وكري الطائر فقعد في واحدة وقعدت في الأخرى
فنمت حتى سدت الخافقين ولو شئت لمسست
السماء وأنا أقلب طرفي ونظرت جبريل كأنه
حلس لاطئ فعرفت فضل علمه بالله علي وفتح
لي باب السماء ورأيت النور الأعظم ولط دوني
الحجاب وفرجه الدر والياقوت ثم أوحى الله إلي
ما شاء أن يوحي فقال تبارك وتعالى له سل فقا
ل إنك اتخذت إبراهيم خليلا وأعطيته ملكا
عظيما وكلمت موسى تكليما وأعطيت داود
ملكا عظيما وألنت له الحديد وسخرت له الجبال
وأعطيت سليمان ملكا عظيما وسخرت له الإنس
والجن والشياطين والرياح وأعطيته ملكا لا
ينبغي لأحد من بعده وعلمت عيسى التوراة والإ
نجيل وجعلته يبرئ الأكمه والأبرص وأعذته
وأمه من الشيطان الرجيم فلم يكن له عليهما سبيل
فقال له ربه تعالى قد اتخذتك حبيبا فهو مكتوب

في التوراة محمد حبيب الرحمن وارسلناك الى
الناس كافة وجعلنا امتك هم الاولون وهم
الآخرون وجعلنا امتك لا يجوز لهم خطبة حتى
يشهدوا انك عبدي ورسولي وجعلتك اول الا
نبياء خلقا وآخرهم بعثا واعطيتك سبعا
من المثاني ولم اعطها نبيا قبلك واعطيتك
خواتم سورة البقرة من كنز تحت عرشي لم اعطها
نبيا قبلك وجعلتك فاتحا وخاتما وفي الرواية
الاخرى قال فاعطي رسول الله صلى الله
عليه وسلم ثلاثا اعطي الصلوات الخمس
واعطي خواتم سورة البقرة وغفر لمن لا يشرك
بالله شيئا من امته المقحمات وقال ما كذب
الفؤاد ما رأى الآية رأى جبريل في صورته
له ستمائة جناح وفي حديث شريك انه رأى
موسى في السماء السابعة قال بتفضيل كلام الله
قال ثم علا به فوق ذلك بما لا يعلمه الا الله
فقال موسى عليه السلام لم اظن ان يرفع علي
احد وقد روي عن انس انه صلى الله عليه وسلم
صلى بالانبياء ببيت المقدس وفي رواية [illegible] عن علي

ابي طالب

بن ابي طالب رضي الله عنه قال لما اراد الله
تعالى ان يعلم رسوله الاذان جاءه جبريل بدا
بة يقال لها البراق فذهب يركبها فاستصعبت
عليه فقال لها جبريل اسكني فوالله ما ركبك
عبد اكرم على الله من محمد فركبها حتى اتى
بها الى الحجاب الذي يلي الرحمن تعالى فبينما هو
كذلك اذ خرج ملك من الحجاب فقال رسول
الله صلى الله عليه وسلم يا جبريل من هذا فقال
والذي بعثك بالحق اني لاقرب الخلق مكانا وان
هذا الملك ما رايته منذ خلقت قبل ساعتي هذه
فقال الملك الله اكبر الله اكبر فقيل له من وراء
الحجاب صدق عبدي انا اكبر ثم قال الملك اشهد
ان لا اله الا الله فقيل من وراء الحجاب صدق
عبدي انا لا اله الا انا وذكر مثل هذا في بقية
الاذان الا انه لم يذكر جوابا عن قوله حي على
الصلاة حي على الفلاح وقال ثم اخذ الملك
بيد محمد صلى الله عليه وسلم فقدمه فام اهل
السماء فيهم آدم ونوح قال ابو جعفر محمد بن
علي بن الحسين راويه اكمل الله لمحمد صلى الله

عليه وسلم التقدم على أهل السموات والأرض
قال القاضي رضي الله عنه وأما ما في هذا الحديث من
ذكر الحجاب فهو في حق المخلوق لا في حق الخالق
فهم المحجوبون والباري جل اسمه منزه عما يحجبه
إذ الحجب إنما تحيط بمقدر محسوس ولكن حجبه
على أبصار خلقه وبصائرهم وإدراكاتهم بما
شاء وكيف شاء ومتى شاء كقوله كلا إنهم عن ربهم
يومئذ لمحجوبون فقوله في هذا الحديث الحجاب ملك
من الحجاب يجب أن يقال إنه حجاب حجب به من
وراءه من ملائكته عن الاطلاع على ما دونه من
سلطانه وعظمته وعجائب ملكوته وجبروته
ويدل عليه من الحديث قول جبريل عن الملك الذي
خرج من ورائه إن هذا الملك ما رأيته منذ
خلقت قبل ساعتي هذه فدل أن هذا الحجاب
لم يختص بالذات ويدل عليه قول كعب في تفسير
سدرة المنتهى قال إليها ينتهي علم الملائكة
وعندها يجدون أمر الله لا يجاوزها علمهم
وأما قوله الذي يلي الرحمن فيحمل على حذف المضاف
أي يلي عرش الرحمن أو أمرا ما من عظيم آياته

أو مبادي

مبادئ حقائق معارفه مما هو أعلم به
كما قال تعالى تنزيل العزيز الآية أو أعلمنا وقوله
فقيل من وراء الحجاب صدق أنا أكبر فظاهره أ
نه سمع في هذا الموطن كلام الله ولكن من وراء
الحجاب كما قال وما كان لبشر أن يكلمه الله
إلا وحيا أو من وراء حجاب أي وهو لا يراه حجب بصره
عن رؤيته فإن صح القول بأن محمدا صلى الله عليه وسلم
رأى ربه فيحتمل أنه في غير هذا الموطن بعد هذا أو
قبله رفع الحجاب عن بصره حتى رآه والله أعلم

فصل

ثم اختلف السلف والعلماء هل كان إسراؤه
بروحه أو جسده على ثلاث مقالات فذهبت طائفة
إلى أنه إسراء بالروح وأنه رؤيا منام مع
اتفاقهم أن رؤيا الأنبياء حق ووحي وإلى هذا
ذهب معاوية وحكي عن الحسن والمشهور
عنه خلافه وإليه أشار محمد بن إسحاق وحجتهم
قوله تعالى وما جعلنا الرؤيا التي أريناك وما حكوا
عن عائشة ما فقدت جسد رسول الله صلى الله عليه
وسلم وقوله بينا أنا نائم وقول أنس وهو نائم

في المسجد الحرام وذكر القصة ثم قال في آخرها
فاستيقظت وأنا بالمسجد الحرام وذهب معظم
السلف والمسلمين إلى أنه إسراء بالجسد وفي
اليقظة وهذا هو الحق وهذا قول ابن عباس
وجابر وأنس وحذيفة وعمر وأبي هريرة ومالك
بن صعصعة وأبي حبة البدري وابن مسعود وا
لضحاك وسعيد بن جبير وقتادة وابن المسيب
وابن شهاب وابن زيد والحسن وإبراهيم ومسروق
ومجاهد وعكرمة وابن جريج وهو دليل قول
عائشة وهو قول الطبري وابن حنبل وجماعة
عظيمة من المسلمين وهو قول أكثر المتأخرين
من الفقهاء والمحدثين والمتكلمين والمفسرين
وقالت طائفة كان الإسراء بالجسد
يقظة إلى بيت المقدس وإلى السماء بالروح
واحتجوا بقوله سبحان الذي أسرى بعبده ليلا من
المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى فجعل غاية الإسراء
الذي وقع التعجب فيه بعظيم القدرة والتمدح
بتشريف النبي محمد به وإظهار الكرامة له بالإ
سراء إليه قال هؤلاء ولو كان الإسراء بجسده

إلى زائد على المسجد الحرام لذكره فيكون أبلغ
في المدح ثم اختلفت هاتان الفرقتان هل
صلى ببيت المقدس أم لا ففي حديث أنس وغيره
ما تقدم من صلاته فيه وأنكر ذلك حذيفة بن
اليمان وقال والله ما زالا عن ظهر البراق حتى
رجعا قال القاضي رضي الله عنه والحق
من هذا والصحيح إن شاء الله أنه إسراء بالجسد
والروح في القصة كلها وعليه تدل الآية
وصحيح الأخبار والاعتبار ولا يعدل عن
الظاهر والحقيقة إلى التأويل إلا عند الا
ستحالة وليس في الإسراء بجسده وحال يقظته
استحالة إذ لو كان مناما لقال بروح عبده
ولم يقل بعبده وقوله ما زاغ البصر وما
طغى ولو كان مناما لما كانت فيه آية
ولا معجزة ولما استبعده الكفار ولا كذبوه
فيه ولا ارتد به ضعفاء من أسلم وافتتنوا به
إذ مثل هذا من المنامات لا ينكر بل لم يكن ذلك
منهم إلا وقد علموا أن خبره إنما كان عن جسمه
وحال يقظته إلى ما ذكر في الحديث من ذكر صلاته

بالانبياء في بيت المقدس في رواية انس او في ا
لسماء على ما روي وذكر مجيء جبريل له بالبرا
ق وخبر المعراج واستفتاح السماء فيقال
ومن معك فيقول محمد ولقايه الانبياء فيها
وخبرهم معه وترحيبهم به وتشاوره في فرض ا
لصلاة وما اجتمعه مع موسى في ذلك وفي بعض
هذه الاخبار فاخذ بعض جبريل بيده فعرج به
الى السماء الى قوله ثم عرج بي حتى ظهرت لمستوى
اسمع فيه صريف الاقلام وانه وصل الى سدرة
المنتهى وانه دخل الجنة وراى فيها ما ذكره
قال ابن عباس هي رؤيا عين اراها النبي
صلى الله عليه وسلم لا رؤيا منام وعن الحسن
فيه بينا انا نائم في الحجر جاءني جبريل فهمزني
بعقبه فقمت فجلست فلم ار شيئا فعدت
لمضجعي ذكر ذلك ثلاثا فقال في الثالثة
فاخذ بعضدي فجرني الى باب المسجد فاذا انا بدابة
وذكر خبر البراق وعن ام هانئ ما اسري برسول
الله صلى الله عليه وسلم الا وهو في بيتي تلك
الليلة صلى العشاء الاخرة ونام بيننا فلما

كان

كان قبيل الفجر اهبنا رسول الله صلى الله عليه
وسلم فلما صلى الصبح وصلينا قال يا ام هانئ
لقد صليت معكم العشاء الاخرة كما رايت بهذا
الوادي ثم جئت بيت المقدس فصليت فيه ثم
صليت الغداة معكم الان كما ترون وهذا بين
في انه بجسمه وعن ابي بكر من رواية شداد بن
اوس عنه انه قال للنبي صلى الله عليه وسلم ليلة
اسري به طلبتك يا رسول الله البارحة في مكانك
فلم اجدك فاجابه ان جبريل حمله الى المسجد
الاقصى وعن عمر قال قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم صليت ليلة اسري بي في مقدم
المسجد ثم دخلت الصخرة فاذا ملك قائم معه انية
ثلاث وذكر الحديث وهذه التصريحات ظاهرة
غير مستحيلة فتحمل على ظاهرها وعن ابي ذر
عنه صلى الله عليه وسلم فرج سقف بيتي وانا
بمكة فنزل جبريل فشرح صدري ثم غسله بماء
زمزم الى اخر القصة ثم اخذ بيدي فعرج بي وعن
انس اتيت فانطلقوا بي الى زمزم فشرح عن صدري
وعن ابي هريرة لقد رايتني في الحجر وقريش تسالني

بح منشوراً فما انتبه عن أشياء ثم استيقظ فبكى
ثم نحونا ما عرفت مثله قط في معنى الله إلى
انظر إليه وغيره ونحوه عن جابر وقد روى
عمر بن الخطاب رضي الله عنه في حديث الإسراء
عنه عليه الصلاة والسلام أنه قال ثم رجعت
إلى خديجة وما تحولت عن جانبها ●

● فصل ●

في إبطال حجج من قال إنها نوم احتجوا بقوله
وما جعلنا الرؤيا فسماها رؤيا قلنا قو
له سبحان الذي أسرى يرده لأنه لا يقال في النوم
أسرى وقوله فتنة للناس يؤيد أنها رؤية
عين وإسراء بشخص إذ ليس في الحلم فتنة ولا يكذ
ب به أحد لأن كل أحد يرى مثل هذا في منا
مه من الكون في ساعة واحدة في أقطار متبا
ينة على أن المفسرين قد اختلفوا في هذه الآ
ية فذهب بعضهم إلى أنها نزلت في قضية
الحديبية وما وقع في نفوس الناس من ذلك
وقيل غير هذا وأما قولهم إنه قد سماها في
الحديث مناما وقوله في حديث آخر بين النا

ص١٠

ئم واليقظان وقوله أيضا وهو نائم وقوله
ثم استيقظت فلا حجة فيه إذ قد يحتمل أن أو
ل وصول الملك إليه كان وهو نائم أو أول حمله
والإسراء به وهو نائم وليس في الحديث أنه كان
نائما في القصة كلها إلا ما يدل عليه قوله ثم
استيقظت وأنا في المسجد الحرام فلعل قوله استيقظت
بمعنى أصبحت أو استيقظ من نوم آخر بعد وصوله
بيته ويدل عليه أن مسراه لم يكن طول ليله
وإنما كان في بعضه وقد يكون قوله استيقظت
وأنا في المسجد الحرام لما كان غمره من عجائب ما طا
لع من ملكوت السماوات والأرض وخامر باطنه
من مشاهدة الملأ الأعلى وما رأى من آيات ربه
الكبرى فلم يستفق ويرجع إلى حال البشرية
إلا وهو بالمسجد الحرام ووجه ثالث أن يكون نومه
واستيقاظه حقيقة على مقتضى لفظه ولكنه
أسري بجسده وقلبه حاضر ورؤيا الأنبياء حق
تنام أعينهم ولا تنام قلوبهم وقد مال بعض
أصحاب الإشارات إلى نحو من هذا قال تغميض
عينيه لئلا يشغله شيء من المحسوسات عن الله

ولا يبعد أن يكون هذا في وقت صلاته بالأنبياء
ولعله كانت له في هذا الإسراء حالات ووجه
رابع وهو أن يعبر بالنوم هاهنا عن هيئة النا
ئم من الاضطجاع ويقويه قوله في رواية عبد بن
حميد عن همام بينا أنا نائم وربما قال مضطجع
وفي رواية هدبة عنه بينا أنا في الحطيم وربما
قال في الحجر مضطجع وقوله في الرواية الأخرى
بين النائم واليقظان فيكون سمى هيئته بالنوم
لما كانت هيئة النائم غالبا وذهب بعضهم
إلى أن هذه الزيادات من النوم وذكر شق البطن
ودنو الرب الواقعة في هذا الحديث إنما هي
من رواية شريك عن أنس فهي منكرة من روايته إذ
شق البطن في الأحاديث الصحيحة إنما كان في صغره
عليه السلام وقبل النبوة ولأنه قال في الحديث
قبل أن يبعث والإسراء بإجماع كان بعد المبعث
فهذا كله يوهن ما وقع في رواية أنس مع أن
أنسا قد بين من غير طريق أنه إنما رواه عن غيره
وأنه لم يسمعه من النبي صلى الله عليه وسلم فقال
مرة عن مالك بن صعصعة وفي كتاب مسلم لعله عن

مالك بن صعصعة على الشك وقال مرة كان
أبو ذر يحدث وأما قول عائشة ما فقدت جسده
فعائشة لم تحدث به عن مشاهدة لأنها لم تكن
حينئذ زوجة ولا في سن من يضبط ولعلها لم
تكن ولدت بعد على الخلاف في الإسراء متى كان
فإن الإسراء كان في أول الإسلام على قول الزهري
ومن وافقه بعد المبعث بعام ونصف وكانت
عائشة في الهجرة بنت نحو ثمانية أعوام وقد قيل
كان الإسراء لخمس قبل الهجرة وقيل قبل الهجرة
بعام والأشبه أنه لخمس والحجة لذلك تطول
ليست من غرضنا فإذا لم تشاهده عائشة
دل على أنها حدثت بذلك عن غيرها فلم يرجح
خبرها على خبر غيرها وغيرها يقول بخلافه مما وقع
نصا في حديث أم هانئ وغيره وأيضا فليس حديث
عائشة بالثابت والأحاديث الأخر أثبت لسنا
نعني حديث أم هانئ وما ذكرت فيه خديجة وأيضا
فقد روي في حديث عائشة ما فقدت ولم يدخل النبي
صلى الله عليه وسلم إلا بالمدينة وكل هذا يوهنه
بل الذي يدل عليه صحيح قولها أنه بجسده لإنكارها

أن تكون رؤياه لربه رؤيا عين ولو كانت عندها
مناما لم تنكر. فإن قيل فقد قال تعالى ما كذب
الفؤاد ما رأى فقد جعل ما رآه للقلب وهذا يدل
على أنه رؤيا نوم ووحي لا مشاهدة عين وحس
قلنا يقابله قوله تعالى ما زاغ البصر وما طغى فقد أضاف
الأمر للبصر وقد قال أهل التفسير في قوله ما كذب الفؤاد
ما رأى أي لم يوهم القلب العين غير الحقيقة بل
صدق رؤيتها وقيل ما أنكر قلبه ما رأته عينه .

فصل

وأما رؤيته صلى الله عليه وسلم لربه جل وعز
فاختلف السلف فيها فأنكرته عائشة حدثنا
أبو الحسين سراج بن عبد الملك الحافظ بقراءتي عليه
قال حدثني أبي وأبو عبد الله بن عتاب الفقيه قالا
نا القاضي يونس بن مغيث أخبرنا أبو الفضل
الصقلي أنا ثابت بن قاسم بن ثابت عن أبيه
وجده قالا أنا عبد الله بن علي أنا محمد بن آدم
نا وكيع عن ابن أبي خالد عن عامر عن مسروق أنه
قال لعائشة يا أم المؤمنين هل رأى محمد ربه فقالت
لقد قف شعري مما قلت ثلاث من حدثك بهن فقد

كذب

كذب من حدثك أن محمدا رأى ربه فقد كذب ثم قرأت
لا تدركه الأبصار الآية وذكر الحديث وقال
جماعة بقول عائشة وهو المشهور عن ابن مسعود
ومثله عن أبي هريرة أنه قال إنما رأى جبريل واختلف
عنه وقال بإنكار هذا وامتناع رؤيته في الدنيا
جماعة من المحدثين والفقهاء والمتكلمين وعن ابن
عباس أنه رآه بعينه وروى عطاء عنه رآه
بقلبه وعن أبي العالية عنه رآه بفؤاده مرتين
وذكر ابن إسحاق أن ابن عمر أرسل إلى ابن عباس
يسأله هل رأى محمد ربه فقال نعم والأشهر عنه
أنه رأى ربه بعينه روي ذلك عنه من طرق وقال
إن الله اختص موسى بالكلام وإبراهيم بالخلة
ومحمدا بالرؤية وحجته ما كذب الفؤاد ما رأى أفتما
رونه على ما يرى ولقد رآه نزلة أخرى قال الماوردي
قيل إن الله تعالى قسم كلامه ورؤيته بين موسى ومحمد
فرآه محمد مرتين وكلمه موسى مرتين وحكى أبو الفتح
الرازي وأبو الليث السمرقندي الحكاية عن كعب وروى
عبد الله بن الحارث قال اجتمع ابن عباس وكعب فقال
ابن عباس أما نحن بنو هاشم فنقول إن محمدا قد رأى ربه

مرتين من كبّر كعب حتى جاوبته الجبال وقال ان
الله قسم رؤيته وكلامه بين محمد وموسى فكلمه
موسى ورآه محمد بقلبه وروى شريك عن ابي ذر في
تفسير الآية قال رأى النبي صلى الله عليه وسلم ربه
وحكى السمرقندي عن محمد بن كعب القرظي وربيع
بن انس ان النبي صلى الله عليه وسلم سئل هل رأيت
ربك قال رأيته بفؤادي ولم اره بعيني وروى مالك
ابن يخامر عن معاذ عن النبي صلى الله عليه وسلم قال
رأيت ربي وذكر كلمة فقال يا محمد فيم يختصم الملأ
الاعلى الحديث وحكى عبد الرزاق ان الحسن كان
يحلف بالله لقد رأى محمد ربه وحكاه ابو عمر الطلمنكي
عن عكرمة وحكى بعض المتكلمين هذا المذهب عن ابن
مسعود وحكى ابن اسحاق ان مروان سأل ابا هريرة
هل رأى محمد ربه فقال نعم وحكى النقاش عن احمد بن
حنبل انه قال انا اقول بحديث ابن عباس بعينه
رآه رآه حتى انقطع نفسه يعني نفس احمد وقال
ابو عمر قال احمد بن حنبل رآه بقلبه وجبن عن القول
برؤيته في الدنيا بالابصار قال سعيد بن جبير
لا اقول رآه ولا لم يره وقد اختلف في تأويل

الآية

الآية عن ابن عباس وعكرمة والحسن وابن
مسعود فحكي عن ابن عباس وعكرمة انه رآه بقلبه
وعن الحسن وابن مسعود رأى جبريل وحكى عبد الله
بن احمد بن حنبل عن ابيه انه قال رآه وعن ابن
عطاء في قوله الم نشرح لك صدرك قال
شرح صدره للرؤية وشرح صدر موسى للكلام وقا
ل ابو الحسن علي بن اسماعيل الاشعري رضي
الله عنه وجماعة من اصحابه انه رأى الله ببصره
وعيني رأسه وقال كل آية اوتيها نبي من الا
نبياء عليهم السلام فقد اوتي مثلها نبينا عليه
السلام وخص من بينهم بتفضيل الرؤية ووقف
بعض مشايخنا في هذا وقال ليس عليه دليل واضح
ولكنه جائز ان يكون قال القاضي ابو الفضل
رضي الله عنه والحق الذي لا امتراء فيه ان
رؤيته تعالى في الدنيا جائزة عقلا وليس في العقل
ما يحيلها والدليل على جوازها في الدنيا سؤال
موسى عليه السلام لها ومحال ان يجهل نبي ما يجوز
على الله وما لا يجوز عليه بل لم يسأل الا جائزا غير
مستحيل ولكن وقوعه ومشاهدته من الغيب الذي لا يعلمه

إلا من علمه الله فقال له الله لن تراني أي لن
تطيق ولا تحتمل رؤيتي ثم ضرب الله له مثلا
بما هو أقوى من بنية موسى وأثبت وهو الجبل
وكل هذا ليس فيه ما يحيل رؤيته في الدنيا بل فيه
جوازها على الجملة وليس في الشرع دليل قاطع على
استحالتها ولا امتناعها إذ كل موجود فرؤيته جا
ئزة غير مستحيلة ولا حجة لمن استدل على منعها
بقوله تعالى لا تدركه الأبصار لاختلاف التأويلا
ت في الآية وإذ ليس يقتضي قول من قال في الدنيا الا
ستحالة وقد استدل بعضهم بهذه الآية نفسها على
جواز الرؤية وعدم استحالتها على الجملة وقد قيل لا
تدركه الأبصار أي أبصار الكفار وقيل لا تدركه الأبصار
لا تحيط به وهو قول ابن عباس وقد قيل لا تدركه
الأبصار وإنما يدركه المبصرون وكل هذه التأويلا
ت لا تقتضي منع الرؤية ولا استحالتها وكذلك لا
حجة لهم بقوله لن تراني الآية وقوله تبت إليك
لما قدمناه وليست على العموم ولأن من قال معنا
ها لن تراني في الدنيا إنما هو تأويل وأيضا فليس
فيه نص الامتناع وإنما جاءت في حق موسى

وحيث

وحيث تتطرق الاحتمالات وتتسلط التأ
ويلات فليس للقطع إليه سبيل وقوله تبت
إليك أي من سؤالي ما لم تقدر لي وقد قال أبو
بكر الهذلي في قوله لن تراني أي ليس لبشر أن يطيق
أن ينظر إلي في الدنيا وأنه من نظر إلي مات وقد
رأيت لبعض السلف والمتأخرين ما معناه أن رؤ
يته تعالى في الدنيا ممتنعة لضعف تركيب أهل
الدنيا وقواهم وكونها متغيرة غرضا للآفات
والفناء فلم تكن لهم قوة على الرؤية فإذا كان في
الآخرة وركبوا تركيبا آخر ورزقوا قوى ثا
بتة باقية وأتم أنوار أبصارهم وقلوبهم
قووا بها على الرؤية وقد رأيت نحو هذا
لمالك بن أنس رحمه الله قال لم ير في الدنيا لأنه
باق ولا يرى الباقي بالفاني فإذا كان في الآخرة
ورزقوا أبصارا باقية رئي الباقي بالباقي
وهذا كلام حسن مليح وليس فيه دليل على
الاستحالة إلا من حيث ضعف القدرة فإذا
قوى الله سبحانه وتعالى من شاء من عباده وأقد
ره على حمل أعباء الرؤية لم تمتنع في حقه وقد

تقدم فانه كرر فيه قوله بعد موسى ومحمد عليهما
السلام ونفيه ان ادراكهما بقوة الادمية محتملها
لا ادراكا ما لا وحاله ورؤيته ما دار اليه والله
اعلم وفي تذكرة الفاضل ابي بكر في اثناء اجو
بته عن الابهري ما معناه ان موسى عليه السلام
رأى الله فلذلك خر صعقا وان الجبل رأى ربه
فصار دكا بادراك خلقه الله له واستنبطه من قوله
ئق والله اعلم من قوله ولكن انظر الى الجبل فان
استقر مكانه فسوف تراني ثم قال فلما تجلى ربه للجبل
جعله دكا وخر موسى صعقا وتجليه للجبل ظهور
نوره له حتى رآه على هذا القول وقال جعفر
ابن محمد شغله بالجبل حتى تجلى ولولا ذلك لمات
صعقا بلا افاقة وقوله هذا يدل على ان موسى قد
رآه ووقع لبعض المفسرين في الجبل انه رآه
ورؤية الجبل له استدل من قال برؤية محمد
نبينا له اذ جعله دليلا على الجواز ولا مرية في
الجواز اذ ليس في الايات نص بالمنع واما وجوبه
لنبينا والقول انه رآه بعينه فليس فيه قاطع
ايضا ولا نص اذ المعول فيه على ايتي النجم

والتنازع

94

والتنازع فيهما مأثور والاحتمال لهما ممكن
ولا اثر قاطع متواتر عن النبي صلى الله عليه
وسلم بذلك وحديث ابن عباس خبر عن اعتقاده
لم يسنده الى النبي صلى الله عليه وسلم فيجب
العمل باعتقاد مضمنه ومثله حديث ابي
ذر في تفسير الآية وحديث معاذ محتمل للتأويل
وهو مضطرب الاسناد والمتن وحديث ابي ذر الا
خر مختلف محتمل مشكل فروي نور اني اراه وحكى
بعض شيوخنا انه روي نوراني اراه وفي حديثه
الاخر سألته فقال رأيت نورا وليس يمكن الا
حتجاج بواحد منها على صحة الرؤية فان كان
الصحيح رأيت نورا فهو قد اخبر انه لم ير الله
وانما رأى نورا منعه وحجبه عن رؤية الله تعالى
والى هذا يرجع قوله نور انى اراه اي كيف اراه
مع حجاب النور المغشي للبصر وهذا مثل ما في الحديث
الاخر حجابه النور وفي الحديث الاخر لم اره بعيني
ولكن رأيته بقلبي مرتين وتلا ثم دنا فتدلى
والله قادر على خلق الادراك الذي في البصر في القلب
او كيف شاء لا اله غيره فان ورد حديث نص بين

الباب لِغُفر ووجبا الحصير اليه انه لا
استحالة فيه ولا مانع قطعي يردّه الله
والله تعالى الموفق •

• فصل •

وأما ما ورد في هذه القصة من مناجاته
لربه وكلامه معه بقوله فأوحى الى عبده
ما أوحى الى ما تضمنته الاحاديث فأكثر
المفسرين على ان الموحي الله الى جبريل وجبريل
الى محمد الا شذوذا منهم فذكر عن جعفر
بن محمد الصادق قال اوحى اليه بلا واسطة
ونحوه عن الواسطي والى هذا ذهب بعض المتكلمين
ان محمدا كلّم ربه في الاسراء وحكي عن
الاشعري وحكوه عن ابن مسعود وابن عباس وانكره
آخرون • وذكر النقاش عن ابن عباس في قصة الاسراء
عنه عليه السلام في قوله دنا فتدلى قال فارقني
جبريل فانقطعت الاصوات عني فسمعت
كلام ربي وهو يقول ليهدأ روعك يا محمد ادن ادن
وفي حديث انس في الاسراء نحو منه وقد احتجوا في
هذا بقوله وما كان لبشر ان يكلمه الله الا وحيا

او من وراء حجاب او يرسل رسولا فيوحي
باذنه ما يشاء فقالوا هي ثلاثة اقسام
من وراء حجاب كتكليم موسى وبارسال الملائكة
كحال الانبياء واكثر احوال نبينا صلى
الله عليه وسلم الثالث قوله وحيا ولم يبق
من تقسيم صور الكلام الا المشافهة مع المشاهدة
وقد قيل الوحي هنا هو ما يلقيه في
قلب النبي صلى الله عليه وسلم دون واسطة
وقد ذكر ابو بكر البزار عن علي في حديث الاسراء
ما هو اوضح في سماع النبي صلى الله عليه وسلم
لكلام الله من الآية فذكر فيه فقال الملك
الله اكبر الله اكبر فقيل لي من وراء الحجاب صدق
عبدي انا اكبر انا اكبر وقال في سائر كلمات الاذان
مثل ذلك ويجيء الكلام في مشكل هذا
الخبر يستلزم في الفصل بعد هذا مع ما يتضمنه وفي اول
فصل من الباب منه وكلام الله لمحمد ومن اختصه
من انبيائه جائز غير ممتنع عقلا ولا ورد في الشرع
قاطع يمنعه فان صح في ذلك خبر اعتمد عليه
وكلامه تعالى لموسى كائن حق مقطوع به نص ذلك

في الكتاب وأكرمه بالحضور عنده ثلاثة على الحقيقة
ورفع مكانه على ما ورد في الخبر في السماء
السابعة بسبب كلامه ورفع محمداً فوق هذا
كله حتى بلغ مستوى وسمع صريف الأقلام
فكيف يتخيل في حقه هذا أو يشعر بسماع الكلا
م فسبحان من خص من شاء بما شاء وجعل
بعضهم فوق بعض درجات

انتهى

الربع الأول من كتاب الشفاء المبا
ركة بحمد الله تعالى وحسن عونه وتو
فيقه الجميل ولا حول ولا قوة إلا
بالله العلي العظيم وصلى الله
على سيدنا ومولانا محمد وآله و
صحبه وسلم تسليماً. الحمد
لله رب العالمين